ثورة المصلح

– من روح ميسلون –



الشعور بالاصلاح حين يستوي في النفس، يغدو كل الفكر وكل المنطق وكل اللذة بل كل الحياة . وكثيراً ما مثل هذا الشعور ازمة نفسية عند صاحبه ، تجعله والهاً به شاخصاً اليه . فهو في الذكرى نجوى وحنين ، وفي النضال عواصف ورعود ، وفي العاطفة هيام تكون نهايته ابداً التضحية وسقوط المصلح ضحية . فان لحن الاصلاح لا يكون خالداً ، الا اذا كانت حشاشة المصلح نفسه آخر مقاطعه ، بحيث يكون قراراً صامتاً للحن الصارخ الخالد .

ان لحن الاصلاح في حقيقته لحن الحياة والموت، فالذين يحسون بنزعة الاصلاح في انفسهم لا يفتأون يرددونه في استهواء وهم مأخوذون بما فيه من بدوات تبث الثورة في عقولهم وقلوبهم ، ولا تنشب ان تلهب المجتمع لتخرجه اخراجاً ، يجيء وفق ارادتها الحرة وفكرتها المصلحة . والنفس التي شاعت فيها ثورة الاصلاح تتمرد حتى لتتحدى كل الاوضاع ، وتتنمر حتى لتجابه كل الاخطار مطمئنة الى انها قوة لا تدحر ولا تفلل ، وانها لا بد ان تتمدد في المجتمع فيتمدد بما فيه من النزعة الجديدة ، نزعة الاصلاح ، وبما فيه من الفكر الجديد الفكر المتحرر .

وان لحن الاصلاح هو فكرة الحياة ، فأولئك الذين لا يتصل بسمعهم هذا اللحن ، يعيشون بدون رغبات خالدة ونشوات ابدية ، لذلك لا يكون لهم سبيل الا سبيل التداعي والانقراض ، ولا يكون فيهم شعور الا شعوراً بالسأم والملال ، وانهم عما قليل يظفر بهم الموت الادبي ويتحكم بمصائرهم كما تحكم بمعايشهم .

فالمصلح حساس يتأجج فيه لهيب مقدس لا سبيل الى كبته او كظمه ، فلا بد ان يثور كما يثور البركان ويحرق كل ما في المجتمع من زائفات . والمصلح بعد ذلك بركان حي ، يحرق كثيراً ويزلزل كثيراً ولكنه دائماً عنوان على حيوية المجتمع ، كما يكون البركان الارضي عنواناً على حيوية الارض .

ان لذة المصلح في ألم الكفاح من اجل الفكرة ، وان المجد والعظمة في نظره ليسا الا ألماً نجح ، والزعيم المصلح هو الذي يعرف كيف يحمل آلام الامة ناجحة . وان المجد والعظمة من ناحية ثانية ثمرة الألم ، وفيها نواة تريد ان تتفاعل مع الآلام مرة اخرى دواليك ، لتستمر لها الحياة النامية . ان المجد عنوان على عمل مجيد ، فاذا وقف صاحب المجد عن العمل فقد خاست فيه نواة المجد وهمدت حيويتها . والمصلح المخلص لا يتذوق الحياة بعيداً عن فكرته ، فاذا كانت له اعصاب تحس من غير طريقها ، ففيه نقطة ضعف تجيء خيانته منها .

مثل هذا الايمان هو الايمان الصحيح ، وبمثل هذا الايمان الصارخ تتم الوطنية الصحيحة ويستقيم جهاز العمل القومي ، فالوطنية ليست كلمة تقال ، ولكنها عقيدة واخلاص وعمل .

ان المصلح قد يخسر نفسه في عصره ولكن ليملك العصور التالية ، ودائماً يكون المصلح اكبر من الزمن لانه يطبعه ويفرض نفسه عليه . انه يملك اجيالاً كاملة بمجموعها ، فان وراثة المصلح مؤثر نشوئي دائماً ، ارتقائي دائماً .

ليس ينكر ان عقل المجتمع يكون في عقل المصلح الحق ، ودماؤه في دمائه ، لذلك يجيء وهو في قوة مجتمع كامل ، يناهضه ثم يقوده ، ودائماً تكون نفسه اكبر من الالم ، وهذا سر نجاحه . . .

الاديب

وطنية الثقافة

بقلم عبدالله العلايلي

☆

آسى كثيراً بل آسى كل الاسى وأشده ، ان اقول هنا اننا لم تأنس عقولنا حتى اليوم ثقافة مخلصة، تنعكس عليها الواننا وتطفو على محيطها اشكال منتزعة من صميم شخصيتنا ومكوناتها الطبيعية والتاريخية والبيئية العامة . وانما كل ما أنسناه في هذا الجانب لا يزيد عن انه مشاركة للغير في (كيف يفكر) ، فقد استطاعت هذه الثقافة ان تعلمنا كيف يفكر الآخرون ، ولكنها عجزت عجزاً بيناً وتاماً عن ان تعلمنا كيف نفكر نحن او كيف يذهب فكرنا في مدى شعورنا .

ان الوطنية في حقيقتها بعيدة عنا وان كنا نرددها ، فهي شيء لا يكتسب بالعيش فوق ارض الوطن فقط ، ولكنها فكر وشعور ، فكر في ألصق وضع وشعور في أعمق وضع . فالاجنبي لا يمكن بحال ان يصبح عربياً مهما عاش في ارض العرب ، لانه يحاول بفكره وحقيقته ان لا يتصل بها ان يظل غريباً عنها . كما لا يمكن ان يكون اللبناني في الخارج الا عربياً ، لانه يحاول جيداً ان يتصل بفكره وحقيقته من وراء البحار، بارض الاجداد. وهذا سر الحرارة الشائعة في حياة الفكر لدى المهاجرين ، وهو الذي جعل لانتاجهم ذلك اللون الاخاذ المحبب ، وأمدهم بذلك الانتاج الذي هو ألصق بروحية الوطن من انتاج هؤلاء الذين يعيشون على ظهره مسممين .

ان الثقافة تكون فكراً تعقلياً اولاً ، ثم تستحيل فكراً اعتناقياً أعمق غوراً وبعبارة اوضح فكراً تلقائياً عفوياً ، وبسبب هذا فقدنا عقل الرجل الوطني اولاً ثم قلب الرجل الوطني ثانياً .

اننا بهذا الفكر وليد الثقافات المأجورة اذا عالجنا الوطن ، فانه يتعقد امام اعيننا ويبدو لنا غامضاً كما يزداد كل يوم تعقيداً وغموضاً . . . كانت انا في الماضي مشكلة النهضة بالمحيط ، واما اليوم فاننا امام مشكلة النهضة بالمحيط ومشكلة ايجاد الانسجام بين الفكر وبين المحيط ، وبعبارة اخصر اصبحنا نواجه مشكلة تصحيح الوطن ومشكلة تصحيح الوطني ، لانه غريب عن الوطن بالفكر غربة حقيقية .

حينما عرض ابن خلدون في مقدمته للفلسفة اليونانية ، ذكر انها اضرت بالفكر العربي وبلبلته وأوجدت فيه حمى مزمنة . وفصلت زمناً وانا استغرب ما جاء به ، ولكنه اتضح لي بعدذلك ان الفلسفة اليونانية التي نقلت للعرب لم تكن فلسفة فكر مخلصة ، بل دخلها عناصر من مثل ما دخل ثقافتنا المأجورة . وبهذا جعلتهم غرباء عن محيطهم العربي دفعة واحدة ، فقد كانت مدخولة باشياء اللاهوت وعناصر صراعه المستفحل النكير ، الذي استخدمت من اجله الفلسفة استخداماً مشوهاً . فتذبذب الفكر العربي واضاع اطراده في زمن طويل ، وما نقحها وتماثل للتفكير المجرد الا بعد كثير من الجهد الى كثير من العناء . فالعرب الاولون كالعرب اليوم لم يتناولوا ثقافة مخلصة بل ثقافة مدخولة اطاحت بالفكر وجعلتهم يعانون زمناً طويلاً اعراض الداء الوبيل المرهق ، وافنت شبابهم الفكري في مقاومة خطر الميكروب ، وان هذه الثقافة المدخولة اليوم تفعل في حاضر العرب فعل تلك الثقافة المدخولة في ماضيهم .

وانا احمد الظروف التي ابقت اكثرية العرب خارج نطاق هذه الثقافة المأجورة ، حتى يجد العرب وقتاً كافياً للتنبه والعمل على ايجاد التناسق الثقافي المفقود ، واخذ كافتهم بثقافة مخلصة ثقافة تصحح فكرنا وتركز شعورنا، ثقافة تآخي بين الفكر والشعور على العمل

في الوطن . من الظاهرات الاكيدة في المحيط العربي ان كل اقليم يخلو من قفير للثقافة المأجورة يتمتع بوحدة فكر ووحدة شعور سابغتين ، فعلينا ان نحرر المحيط العربي من الثقافات المأجورة . وانا لا ادعو بجهاس طائش هنا كما دعا الكثيرون من قبل الى محاربة الهيئآت الثقافية المختلفة، فانماهي ينابيع تفيدنا وانما ادعو الى تصحيح خطة الثقافة فقط . فان من الخرق ان تفسر الدعوة الى تصفية ماء الينابيع الكدر بانهـا دعوة الى ردمها ، فان بين هذه الهيئآت من يحمل رساله حرة ربما كانت اصح بكثير من بعض هيئاتنا المستسلمة الى القلق والتجاريب .

نريد ثقافة يغدو الفكر بها وقفاً على الشعور ، ويغدو الشعور بها مركزاً على سنة الفكر . ان النهضة الحقيقية هي انقداح بعد تنور شعوري فكري ، ولذلك شاع في انتاج المهـاجرين التلهب والحماس والصدق . وانا اشعر حيال انتاجهم الادبي بنفس متحرقة حذرة على المصير ، بنفس تقدس الوطن حقـاً وتصدق العمل نحو نهضته . اننا نشم في انتاجهم الحريق، والكذب قد يستحيل دخاناً ولكنه لا يستحيل ناراً مطهرة ابداً لا يستحيل ظماً حقيقياً . ان الصدق هو النار والنور والشعلة التي تلوح للتائهين .

وان اسوأ ما تركت تلك الثقافة المدخولة لدينا هو فقد التناسق الثقافي ، فالذي استوعبناه منها من معارف مليء بالنتوآت والزوائد، التي اذا اهتاجت سببت اعراضاً في الفكر كاعراض الزائدة المعوية في الجسم . ففكرنا تجتـاحه عواصف من تهيج الزائدة ، وتظهر اعراضه بميل ملح في فكر الشباب تارة الى هذا المذهب او ذاك وتارة الى هذه النزعة او تلك ، أي بميل ملح الى التذبذب، وبسبب تلك الزائدة المعوية في الفكر وهذا التذبذب فقدنا المنطق الثقافي المركز .

ان فكرنا بمـا جنت عليه هذه الثقافة لا يستند الى قاعدة (الفكر والعمل من اجل غـاية) ، كما عمل العرب في انتاجهم الفكري وانتاجهم العام في القديم، ونسميه الجو الايماني في الفكر وهو لا يتصور ما يمر فيه بل يصور ما يمر فيه بشكله . . . فعلينـا واجب وهو العمل على التنسيق الثقافي وايجاد الجو الايمـاني الذي يفرض اسلوباً في الفكر ، والجو الايماني الذي ينبغي ان يطبع به العرب اليوم هو : الوطنية التعاونية داخليـاً بتصحيح الاربطة والوشائج الاجتماعية ، وخارجياً بتصحيح العلاقـات العامة بحيث تكون حركة مجتمعنا العربي الاكبر وحركة مجتمعاتنـا العربية الصغرى ، قـائمة بالدور الذي يجب ان تقوم به في جسم الكل الاجتماعي العـام ، أي قـائمة بوظيفتها الحق فيما اذا كان الكل الاجتماعي صحيح القطع ، وموزع الوظائف توزيعاً حقيقياً كتوزيع الوظيفة في الكل العضوي .

فنحن جماعة العرب الاحرار : نفكر بالوطنية لان الوطنية في فهمنا لا تزيد عن انها عمل لسبك قطعتنا وتنقية عناصرها وصبها صبـاً صحيحاً ، ونحن نفرضها تعاونية حتى لا تقوم بالحركة على شكل عكسي ، يفضي الى اختلال التوازن في قـانون توزيع الحركة .

ويجب ان ننبه وان نفهم ، اننا حينما نناضل بين امة وبين امة لا نفعل هذا بدافع مساعدة نرجوها من تلك الامة لنجاح قضيتنا . فالذين يفكرون بهذا اغرار بلهاء ، لان النجاح في القضية مرهون بنا نحن ، مرهون بارادتنا فقط ، فان ارادة الحياة هي التي تجعلك تظفر بالحياة .

وارادة نجاح قضيتنا هو الذي يكسبنا اياها وينجحنا فقط ، ولا تصغ للبلهاء الذين يعتمدون في نجاح القضية على الغير ، فانهم كحجر الرحى التي تدور على (اللا شيء) وهم ينتظرون منها شيئاً . انهم مخلصون ولكنهم اغرار ، لان الشيء الذي يجب ان تدور عليه الرحى مفقود في حركتهم ، وهو ارادة النجاح الحقيقية .

ولكن جماعة الفكر الحر اذا فضلوا امة على سواها ، فانما يدفعهم الى ذلك مقدار ما في ثقافتها من اخلاص لقداسة الفكر المجرد لامانة الثقافة المجردة . ويزورون من اية امة اخرى ، لان ثقافتها مأجورة تريدان تقنعنا بالمتناقضات بالمفارقات، تريدان تزودنا بفكر ابله . كمثل ذلك الهندي في الاسطورة السنسكريتية الذي قيل له عن الجرو انه حمل ، فابتاعه على انه حمل وهو جرو ، وانما باع في هذه الصفقة فكره وخسر حقيقته .

نريدها ثقافة تعرفنا بانفسنا ، ومعرفة النفس قاعدة كل شعور صحيح وكل فكر صحيح ، وكل نهضة صحيحة .

نريدها ثقافة تتفق في مظاهرهـا وتتفاعل ايجابياً مع العقلية العربية، ثقافة خالصة من كل زيف وتقليد ، بعيدة عن كل تناقض واسراف وابتذال ، ثقافة تبعث على الخلق والابداع ، وتلمسنـا آثاراً من رجعة الروح .

عبد الله العلايلي

كوخ العم توما



في عام[١] ١٨٥٢ ، بينما كان مجلس الشيوخ الاميركي لا يزال مهتماً بمسألة اختراع التخدير العام في الجراحة ، ولا يدري من يصدق من الفرسان الثلاثة الذين يتنازعون حق الاسبقية فيه ويناضلون في سبيل المكافأة الكبرى وهي مئة الف دولار ، ظهر في عـالم المطبوعات كتاب جديد هو « كوخ العم توما » ذلك الكتاب الذي قدر له ان يخطو بالانسان خطوة الجبابرة في سبيل التحرير من ربقة الذل وتحطيم اغلال الرق والعبودية ، والذي يعد من الكتب النادرة التي كان لهـا شأن بعيد في تبديل حياة البشر ، لان مؤلفه عرف كيف يوقد الحماسة في صدور الجماهير بما اجاد فيه من وصف حالة العبيد وشقائهم في اميركا الجنوبية .

كانت مسألة الرقيق في عهد الرئاسات الثلاث التي سبقت رئاسة لنكولن بعيدة كل البعد عن ان تستلفت نظراً او تسترعي سمعاً . وفي ايام تيلور الاقتصادي المشهور طرح على بساط البحث أمر العبيد الآبقين ، أي الهاربين من الجنوب الى المناطق الحرة ، ووجوب ارجاعهم الى سادتهم المالكين — بذلك كانت تقضي الشرائع المكتوبة على ان الشريعة التي لم تكتب ولكنها منقوشة على صفحات القلوب تمنع هذا الظلم — فلم يسفر البحث عن حل مرض لان الزعماء ورجال السياسة خافوا عقبى التصادم ولا سيما ان فجراً جديداً من الازدهـار أطل على اميركا فاكتشفت مناجم الذهب في كاليفورنيا وشرع بمد السكك الحديدية في ارجاء العالم الجديد ، وظهرت من كل ناحية طلائع النجاح والثروة فلم يريدوا وقف هذه الحركة المباركة بحرب اهلية . ولكن كوخ العم توما فعل ما لم يفعله رجال الحكم فلم يمض على ظهوره عشر سنوات حتى كانت القلوب قد تشربت ما فيه ولم يبق في الشمال من لم تحركه عاطفة الشفقة على العبيد والغضب لهم . وتوات ولاية ماساسوشت زعامة الحركة الاصلاحية واصبحت الافكار على اهبة الثورة تنتظر الشرارة التي تضرم النار بين الشمال والجنوب .

ولم يطل الانتظار فقد كفى قيام الحكومات السبع الجنوبية بطلب الانفصال من الاتحاد لاشعال البارود غير ان هذه الحرب لم تستمد قوتها الحقيقية الا من لنكولن عندما فـاه ليلة انتخابه بهذه الكلمات التاريخية « اني اكره الاستعباد لانه ظلم ، اكرهه لانه يتيح لاعداء نظمنا ان يتهمونا بالرياء ، اكرهه لانه يمهد السبيل لاصدقاء الحرية ان يشكوا في اخلاصنا » وما كادت الاصوات تجتمع على انتخابه رئيساً حتى اصدر ذلك المنشور الشهير الذي يمنح الحرية لجميع العبيد السود في ولايات الجنوب ابتداء من كانون الثاني سنة ١٨٦٣ فشبت تلك الحرب الدموية الهائلة التي وصفها بعضهم بانها افظع ما رأته عين . في تلك الايام السوداء بينما كانت جيوش الجنرال غرانت تنتزع الغرب من ايدي العصاة وتبدأ هجومها على رشموند ، والمدافع تدوي في سهول ڤرجينيا كنت ترى الطرق غاصة بالجثث ، والجرحى بعضها فوق بعض ملقاة على الارض بثيابها القذرة الملطخة بالدم والوحل ، والموت يطوف في ساحة القتال وفي المستشفيات وما المستشفيات يومئذ سوى خيـام مقطعة الاوصال ، وانين الجرحى وحشرجة المحتضرين تتصاعد في الدياجي مع رائحة الموت ممزوجة بانفاس العشب والاشجار .

بين تلك الصفوف الوحشية المنظر كنت ترى كهلاً شاحب اللون منقبض الجبين يتنقل بلا تعب حاملاً منديلاً بيد وزجاجة بيد ومن ورائه طبيبان الواحد لاجراء العملية والثاني لضمد الجراح . ذلك هو مورتون مخترع طريقة التخدير بالاثير او احد الثلاثة الذين يدعون هذا الاختراع ، جاء يوفي قسطه من المساعدة في هذه الحرب فكان يعمل من الصباح الى المساء واحياناً في الليل على ضوء الشموع ليخلص المئين من آلام جراحاتهم . وكان الجنود بعد ان تأكدوا ان بين ايديهم ما يزيل ألم المبضع يحـاربون كالاسود ، ثم يستسلمون الى يد الجراح مطمئنين . لقد انست مورتون مصاعب الحاضر عذاب الماضي ووجد في خدمة الانسانية المتألمة تعزية عما لاقاه من صدود الحكومة واوعادها الكاذبة وكفرانها بالجميل واصبح راضياً كل الرضى بما وصل اليه من تخفيف الشقاء عن اخوانه ومواطنيه . وكان رجال الجنوب بقيـادة الجنرال « لي » يستميتون في الدفاع لانه دفاع عن املاكهم وتقاليدهم وروحهم الرومانتيكية المأخوذة عن انكلترا وفكرة الفروسية والشرف . لقد اراد ابناء الشمال ان ينزعوا سلطانهم عن العبيد والعبيد اساس ثروتهم ، مدعين ان الرق عمل غير انساني ولكن ماذا يحملون اليهم بدلاً من ذلك ؟ استثمار الرأسماليين والسباق وراء الدولار وهذا ما كان ينفر منه سكان الجنوب ، ولهذا كان عددهم يزداد كل يوم بمن ينضم اليهم من المحافظين على التقاليد وعيشة الاجداد ليوقفوا تيار الروح الجديدة المتدفق عليهم من الشمال . ولكن كوخ العم توما كان قد قلد النفوس سلاحاً جديداً ماضياً لم يقدر معه الرق على البقاء فزال بانتصار الشمال ورجوع الجنوب الى حضن الاتحاد وطويت صفحة من التاريخ حافلة باشكال البطولة .

نقولا فياض

(١) من كتاب « كيف تغلب الانسان على الالم » تحت الطبع .

الحب

لاحمد قنديل

مكة

ايها الصائغ الشعور عن الحب ، سؤالاً يجلو النفوس سناه
من قصيد كأنه نبتة الزهرة ، دلّت في الروض عن مجتناه
ما تراني بعد الذي قلت في الحب ، محبا ، اقول عن معناه ؟
والفؤاد الخفاق اصبح لا يهمس الا للدهر عما جناه
في ظلام ووحدة ، وسكون   وانزواء يطول فيه عناه
بين دنيا من الحقائق مرت   كالحات تعافها عيناه
المعاني في كونها مثلات   يصطفيها من كان فيها فناه
والاماني ما بينها لمحات   يرتجيها من طال فيها مناه
والصفات المثلى مباسم هزء   يجتليها من قل فيها غناه
والهوى والجمال والمثل السامق فيها من كونها ادناه
هي دنيا مرادها المال لا غير ، وللجاه بعده ما اقتناه ..

*

أي دنيا هذي التي تهزم القلب بدعوى العيش البغيض السخيف ؟
الخلي الحياة إلا من الصوت تلاشى بين الاسى والرغيف
حيث ترديه في قرار من البيد سحيق في همه ملفوف
جاثمًا كالصدى توحد كالكهل تعالى رهن الردى والحتوف
بعد ان كان والحياة لديه   روضة حلوة الرؤى والطيوف
بلبلًا راقصاً بها يتغنى   في ربيع لا ينتهي لخريف
أو وليداً يهيم في فرحة العمر ، وفي فتنة الشباب المطيف

الهوى كونه العظيم بما فيه ، حياة مليئة بالطريف

*

فاذا شاء ان يحدثك الآن عن الحب ، قاله معقولا
بيد انا فيا يجيش به الطبع اسارى للطبع فينا اصيلا
نستطيب الوهم المحبب معنى مستسراً ونكره التحليلا
سنة الخالق الاحاسيس في النفس شعوراً يبشع التعليلا
فالمعاني في الروح دنيا بها الروح ترى العلم في الحقائق غولا
والهوى والخيال والدين والشعر وما شاء كونها المأهولا

*

هكذا نحن في الحياة بدأنا واليها سننتهي ونعود
كرة كرة ، وجيلاً فجيلا فالطريف الطريف منا تليد
فكثير ممن نعد وليداً هملدى الواقع الصحيح جدود
ليس يغني النوع المسلسل منا أو يقينا من الفناء الخلود
طالما الحب في الحياة حياة لبنيها وزادهم والوقود
فهو للروح والقلوب غذاء وهو للنفس والجسوم وجود
هو في غمرة الخيال خيال ذهبي الالوان حيث يقود
مستسرّ التعبير منقطع الصيحة ، إلا فيا يحس العميد
وهو في ثورة الدماء نداء حركي في صوته ، عربيد
مستقيم في شأوه لمداه وسواء قريبه والبعيد
فسل العاشق المغرد بالامس الى أين قاده التغريد ؟

*

انما الحب ما عرفت ، وما كان من الكون ، سره وبقاؤه
وربيع الحياة ، والامل المشرق فيها على النفوس بهاؤه
هو اغرودة الشباب لديها وهو في هجمة المشيب عزاؤه
هو للفن مبعث الفن وحياً عبقرياً تعددت آلاؤه
وهو للروح فرحة القلب بالقلب ، هوى فجر القلوب غناؤه
وهو للنفس دعوة الجسم للجسم ، صدى زلزل الجسوم نداؤه
فهو في كل ما يحس ، ومن ينبض ، بعث تنوعت اسماؤه
فترصد دنياه تنطق بالفتنة شعراً يسمو بها لألاؤه
في عبير الازهار ، في نغمة الطير ، وفي السرب حرة اهواؤه
في ركام السحاب ، في صفقة الريح ، وفي الودق ثرة اجواؤه
في حنايا الصخور ، في كنف الشط ، وفي البحر فذة احياؤه

*

في اعتناق الالحاظ، في خفقة القلب، وفي الصدر تستشيط ضراما
في اشتباك الاكف، في حيرة الصمت، وفي ومضة الثغور ابتساما
في التقاء الشفاه ، في ضمة الصدر ، وفي لمعة العيون غراما
في اهتزاز النفوس ، ألهبها الروح ، وألغى من كونها الاجساما
في انطواء الاجسام ترشف الحس شعوراً ، وكنهه اجراما
في جنون الاهواء ، لا تقبل وضعاً ، ولا تطيق نظاما
في انبثاق الحياة ترجع بالكهل شباباً وبالشباب غلاما
انه الحب كيفما كان في الاحياء حساً وفي الجماد قواما
هو في الكون دعوة الحي للحي تساوى وطبعه او تسامى
انه ثورة الحياة وقفزات بنيها ضناً بها وهياما
والشباب الشباب لا يعرف الاين ، خلواً او هجعة او سلاما

ع

قطعة رمزية صوفية

رحلة نحو مطلع الشمس

☆

بقلم خليل هنداوي
استاذ الادب العربي في تجهيز حلب

في البلاد الباردة حيث تزفر ريح الفناء . كان قطيع الاوز العراقي يرهف اجنحته استعداداً للتحليق الى مطلع الشمس !

على منعزل من هذه الارض كانت اوزة صغيرة تلح على امها في الاستفسار عن مطلع الشمس ، لانها لا عهد لها بها . والام تحاول ان تتمغم في جوابها .

— اماه ! ما مطلع الشمس ؟ ولماذا يراد منا ان نهجر مواطننا هذه ؟

— ليس وطننا هنا ! ان لنا وطناً آخر أعز شأناً .

— أخبريني عن مفاتن ذلك الوطن ! أهو اجمل ؟ أهو بعيد ؟

— ان رحلة الطيران ستبري اجنحتنا قبل الوصول ، ولن نصل الا اجساداً ناحلة . وعيوناً مظلمة . ولكن اذا قدر لنا الوصول وامتدت الينا الشمس اكتسينا لحماً جديداً وروحاً جديداً .

— أيمكن ألا نصل ونحن بهذه الاجنحة القوية ...

— ان الرحلة بعيدة ، والمفاوز تحتنا طويلة ... كم من اجنحة انطوت عليها ثم لم تنشر ! لا تعتدي بقوة اجنحتك ، ولكن كوني قوية الايمان بالوصول .

— اماه ! في هذا المساء سنرحل . كم تدوم الرحلة ؟

— قد تدوم سبع ليال او عشراً ، بقدر ما تذلل لنا الريح الطريق

— كنت أحسب الرحلة نزهة أمرن بها جناحيّ .

— لا يحتاج جناحاك الى تمرين ، لانها نشأ فيك قويين لهذا الغرض ... ان ما بها من قوادم وخواف تحس بل تشتاق الى ألوان هذه الرحلة . ولكن ينبغي ان تعلمي ان اسراب الاوز لا تساعد من لا يساعد نفسه ، ولا تقف عند المنقطع ، ولا ترأف بالمقصر . لان منارة الشمس تناديها . والويل لمن يقف لانه لن يصل !

— ويلاه يا اماه ! أاذا انقطع بي الطريق تركتني وحدي ، وحولت عينيك عني . لا أريد هذه الرحلة ... لنبق هنا ... في عشنا . ولينطلقوا هم وحدهم الى مطلع الشمس .

— ذلك محال ، لان برودة الظلمة تقتلنا ، ونموت بعد ذلك اشنع ميتة بين ضحك الريح وسخرية الليل .

— أليس موتنا هنا خيراً من موتنا عبر الطريق ؟

— لقد كتبت الطيور الجبارة على نفسها ألا تموت الا على الطريق اذا فاتها الوصول الى النهاية .

عندما يطرق الظلام حاملاً معه نسماته الباردة ، وانت قد مشيت طول النهار ، فابد شجاعتك لانك لست بعيداً عن الوصول .

سانت بوف

وهما في هذه المحاورة كانت اجنحة بيضاء رفافة تميد في الافق الغربي ... ومن بعدها اجنحة ... ومن بعدها اجنحة ... حتى صارت الآفاق كلها اجنحة ... تمتد وتنتشر ثم تتقلص كالنجوم.
اسراب تلو اسراب والطليعة تستهدف باعناقها الطويلة مطلع الشمس.

*

الطيور القديمة تعرف مطلع الشمس، فكان يقودها حنينها بثبات. ولكنها تدرك مخاطر الطريق وماقد يخفيه لها الحظ العاثر اذا خانها الجلد.

وكم رأت عيونها رفيقات لهن يسقطن عن اليمين والشمال، ليسترحن في ارباض الارض ثم لا يقمن ابداً، ولكنهن يطلقن عليهن اسم «الشهيدات».

والطيور الحديثة التي طالما سمعت من امهاتهن عن مفاتن مطلع الشمس تود ان تقطع هذه الرحلة لتكحل جفونها بجمال تلك الارض. وهن يجدن بعض امهاتهن يسقطن فيغمضن عيونهن قليلاً، ويخففن من ضرب اجنحتهن قليلاً، لان الواقع يصيح بالطائر: اياك ان تهوي خلفي... لانك تهلك معي.

*

في وسط الطريق أحست تلك الام باضمحلال جناحها الذي طالما ركب هذه الآفاق بقوة. ورأت ابنتها بجانبها تلمس الافق ملساً، فجربت ان تحلق من الضعف قوة. واخذت تصفق باجنحتها تصفيقاً حاداً هو أشبه بخفوق القلب المريض، فراع ابنتها من امها هذا الخفق المتتابع فسألتها:

— اماه! لا تكثري من تصفيق اجنحتك! ان الاجنحة التي تصفق كثيراً — كما قلت لي — لا تصل.

— هو كذلك. انني اطير الآن بقوتك انت، لان سروري بك يغمر نفسي. اذا رأيتك في حياتي تتركين بلاد الظلمة الى مطلع الشمس... وهناك.. ستعلمين من الحياة وجوها جديدة لا ترينها بدون هذه الرحلة.

— وانت... ألا تكونين معي؟ — انا...

ولم تتم كلمتها حتى بدأت عنقها البيضاء تلتوي نحو الارض، والجناحان ممدودان بدون حركة. نظرتها ابنتها فتبعتها. فصاحت بها امها: — واصلي سيرك واتركيني... واحملي عذري عني الى مطلع الشمس!

ولكن الابنة لم تنثن عن اتباع امها برغم نصحها. فكان نزولها على كثيب من الرمال الممدودة بدون نهاية امامها... لا تسمعان الا حفيف الاجنحة المتعالية في الافق الفسيح وبين كل وهلة وثانية تلمحان كتلة بيضاء تهوي على الارض ثم لا تصعد! وقفت الابنة على امها تغريها بالعروج مرة ثانية... ولكن عبثاً تفعل!

— عودي يا بنيتي الى الفضاء! ان هذه الارض قد تغريك بالاقامة ثم لا تصلين! انني انتهيت من اتمام الرحلة. واسفي شديد لاني لم ألمح مرة ثانية مطلع الشمس. ولكن لي عزاء واحداً كلمة اجدادنا انه نقش على باب مطلع الشمس: «من حمله الشوق الينا، وقتل قبل ان يصل فقد وصل» انني وصلت وعلى عيني ترتسم الآن كل مفاتن ذلك الفردوس. وكثيرون وكثيرات منا لم يقدر لهم الوصول قد سقطوا على هذا الصعيد، ولم تبق منهم الا قوادم اجنحتهم لتدل عليهم حيث ماتوا... اصعدي انت وعي من انفاس المشرق، ودعي اجنحتك تلتهب تحت اشعة الشمس حتى تصبحي كتلة من لهب يضيء ولا يحترق.

*

كانت الام تتصور — وهي تتكلم — مطلع الشمس. وهل عينها اكتشفت ذلك الموضع قبل ان تغتمض... التفتت الابنة اليها فوجدتها جاثمة بدون حراك والتفتت الى الافق فوجدت ان السرب الاخير يكاد يواريه الافق عنها... فنتفت من جناح امها ريشة وضعتها بمنقارها وشقت الافق ثانية بجناحين هدارين كأنها تريد ان تكون اول من يبلغ باب مطلع الشمس، وان كانت لاتعرف متجهه من قبل، لان حنين امها تحول في نفسها الى معرفة واكتشاف وشوق!

*

بعد قليل كانت تتخطى الاسراب المتخلفة، وبعد قليل كانت في الهاديات والريشة على اطراف منقارها. بلغت الرحلة منتهاها، ورف للعيون مطلع الشمس، فتهافتت الاسراب على تحية هذا العالم الذي يموج بالمفاتن الغريبة. الكم كان عجب الهاديات حين وجدن على عتبة مطلع الشمس ريشة جناح مركوزة تحت الكلمة المسطورة «من حمله الشوق الينا وقتل قبل ان يصل فقد وصل». ولكن هذه الجملة التي كانت مسطورة بالشعاع الابيض اصبحت مسطورة بالمداد الاحمر. وطرف الريشة لا يزال يرعف دماً...

قدسن هذه الريشة ورعينها وعلقنها على عتبة باب مطلع الشمس وكلما نصلت من الدم بللتها بدمائهن لانها رمز هذه الرحلة العجيبة.

حلب — خليل هنداوي

ثم لا ت

من احاديث حسن الصباح

قال حسن كامل الصبّاح في حديث له لم يُكتب بعد : ان الحديد لا ينبض الا اذا غلّ في خلاياه ، خيال بشري طوّاف ، يعقد الوشائج ، ويحبك التلافيف ويدفع بالجماد الى دائرة الحركة كما يدفع البحر الزورق على اساطين الافق الى معابر الابعاد والاعماق . والخيال البشري اذا لابس الجمادات افقدها سكونها ويبوستها وادبّ فيها ما يدبّ القلم ، الحديدة ، من الحياة في انابيب الحروف ، هذه الاقفاص المشبكة ، المحبكة ، التي تضم في مكاتب خطوطها قطعاً من القلوب ، وقوافل هائمة شاردة من الافكار ، والهواجس ، والاحلام .

اما الذين هزأوا بالعربي ، ابن الخيال الشارد ، والف ليلة وليلة ، وابن بساط الريح وقبعة الاخفاء ، وابن الجن والاغوار والغيلان ، والعراء والصحراء ، وياجوج وماجوج ، وارم العظيمة ذات العماد ، وقالوا انه لن يقدر على احياء الجماد في القوالب المتحركة الملموسة ، اما هؤلاء ، فهم جماعة جهلوا سر الواقعية الميكانيكية ، ولم يعلموا ان الفولاذ لم يطر في الاعالي المقببة قبل ان وثب الخيال البشري وثبته ثم قطع من نفسه قطعة ، وجسدها في الوهم والتأمل ، وجنحها وهيأها مثالا سحرياً ، يصب فيه صهارة الحديد والنحاس فهذه « الجومائية » التي تراها تطوي اطارف الاثير ، وممرات الخضم ، وتتلمس مواقع الجوزاء . تدفع باب الجنة ، ان هي الا فكرة عابرة شاردة ، من البال تجسدت في الحديد بدل اللفظ ، ثم قامت تدوم وتحوم ، وتسبق النسور ، والسحب المتدافعة امام الاعاصير ، المتواثبة مع قهقهات الرعود المجنونة . فالعربي صاحب هذا الخيال العظيم الذي ضاقت به مجالات الكائنات ، والمسافات ، يسهل عنده ان يجري في اسلاك المصباح حرارة الكهرباء ، وان يُسيل في حبات المعدن قوى البخار ، وان يخرج من الحجر طائراً ومن التراب ناراً ومن الصحراء ، ماء ورياً .

وذات يوم ، قام عرضاً ، جماعة من البشر في هذه « الاوروبا » القريبة ، يعقدون خيالاتهم ليل نهار على المادة واشكالها فخلقوا لها قوالب جديدة عديدة ، فنمّ الخبر وخرجت القوافل البشرية من كل صوب علائم استفهام ودهشة . ثم عادت بعد ردح تضحك فقد حلت الالغوزة وبان الحي ، واذا بابن السيف الجديد كابن السيف القديم ، واذا بي انا العربي ، ابن « النبطية » اخرج بعباني وكوفيتي وسمرة وجهي ، وغيسان شبابي ، وأسد ممرات القافلة الميكانيكية ، واستقها الى محطات الاهداف في ميادين الاختراع كأني جواد ، دالق ، من هذه الجياد الرائعة التي اطلقتها الجزيرة يوم الفتح لتحرير البشر من جبروت بزنطية العاتية وزندقة الاكاسرة والجاهليين .

لست وثنياً يقدس المادة ، وقوالبها ، فيسكب ذاته عليها لينتهي فيها ويتركها ، والخيالَ الجامح ، تتقاذف الناس على اظافر المقادير ، ولكني سكبت على قوالب الخيال القاسية عصيراً طيباً من دم القلب وانا ذاكر ان العربي لم يعش المادة بل خمر الأرض في خدود الشموس ومحاجر الملائكة لتكون للانسان ، مرج طمأنينة ، وانشودة جمال ، ومحبة ، وخير عمم .

ايها الرفاق المخترعون :

احذروا المادة فهي اذا لابست الخواطر ونبضت كالاحياء ، ولم تدفع الى البناء . دفع الحجر الصالح كانت لهباً تأكل وحديداً يلتهم ، واجنحة لها ازيز ودمدمة كدمدمة الزلزال وعربدات البحر الثائر . اصهروها في مواقد المودة ومشاعل الرفق والعدل واطلقوها في طريق الحق ، والشعاع . ان الفولاذ ، اذا لبس الانسان الشرير خرج كالذئب الاعمى في شدقيه الف شهوة ونهمة .

ايها الرفاق ، ايها المقيمون على سيف الارض الجديدة في ضوضاء نيويورك ، وضجيج شيكاغو ، ما احب النبطية الى قلبي فهي بلدة صغيرة هادئة من لبنان ، ولبنان بلدة صغيرة هادئة في الجزيرة ، والجزيرة حجر مقدس ضخم نقشته يد الله قبة عالية للهيكل الانساني العظيم حيث تعبق مباخر الحق وتشع مصابيح الهدى ، ويشعر الانسان انه اخو الانسان ، ويسكت الحديد ولا يتكلم لانه هنا موطىء قدم لا قيدا في اليد او حربة في القلب ، او خوذة على الجمجمة الحائرة ، التي تترقب الموت في مسايل الرياح .

*

ما كاد السحر يتحرك من وراء الاكمة حتى القى حسن كامل الصباح خياله في المدى السحيق ، وغاب مع النجوم في تراب جبل عامل الشامخ .

الياس خليل زخريا

شارلمـــان وهـارون الرشيد

بقلم كرم ملحم كرم

☆

بغداد تلتهب عظمة ومهابة . فالسلطان يتوهج فيها على فتوّة وعزم والدولة دولة العباسيين . وما دولة العباسيين في مطلعها . سوى كتلة من اعصاب ايدة ، يتدفق فيها دم الشباب على طموح ونبل . فالاسلام بعد ما نام في قعود الامويين عن الفتوح ، عاوده يوم اطمأن العباسيون الى النعمة الموالية حنين الى التبسط ، والغمز من هؤلاء المحنقين المقيمين في الشمال على التخوم. فالبيزنطيون وان التووا عن دمشق وحلب ظلوا يطمعون في استعادة مجدهم المضمحل ، وامتلاك بيت المقدس بانقاذ فلسطين ممن دفعهم عنها بجد السيف ، ليبني فيها معالم دينه الجديد .

وغلت هذه الامنية في نفوس البيزنطيين يوم هوى النجم الاموي عن سمائه الباذخة ، وقد اذل مناعته ابو مسلم داعية العباسيين . ولكن الاسلام لم يتقوض بتفكك الدولة الاموية ، بل خلع عنه حلة خلقة ، مهلهلة النسيج ، ليلف بعباءة مكتنزة ، تبعث فيه الدفء وتخفي ما نابته به الاحن من كلوم .

وبلا البيزنطيون السيف العباسي فاذا بهم تجاه عزمة حاطمة ، ومضاء فتاك . وابى المهدي ان ينازلهم بنفسه في سنة ١٦٥ بعد ما اذاقهم اللوعة في الوثبة الاولى يعضده ابنه هارون ، فصدعهم في الدفعة التالية بهذا الابن بعينه ، يسوق الى مناهضتهم مئة الف سيف من سيوف الموحدين . فانكسفوا ولجوا في الهزيمة حتى شفت ثنايا فلولهم عن شواطىء القسطنطينية . وخافت ملكتهم « ايرين » على نفسها وعلى ابنها الطفل قسطنطين السادس من طغيان الموجة العباسية ، فنادت بالصلح ، لا تحجم عن الفدية . وكانت الفدية ما ابتهجت به نفس المهدي ، وما اطلق الالسن في امتداح ابنه القائد الفتي . فادناه منه وطمع في ان يوصي له بالخلافة ، الا ان موسى الهادي كان العقبة . والهادي حقيق بالخلافة وهو ابعد سناً ، ولا يقل عن اخيه نخوة ومهزة ، ولكن صلابته اهابت بامه الى تفضيل اخيه . فكان ان اسعفته الايام ولم يفجع بامنيته . بيد ان عهده بالحكم لم يزد على سنة وبعض السنة . فمات ونودي باخيه ابي الامين خليفة في المطمئن الاسلامي .

وابو الامين ، على حداثة عوده ، لم يكن يجهل العبء المضطلع به . فالمشقة تكاد تعوق كل خطوة . البيزنطيون لا يؤمن في الشمال اذاهم . والامويون لم يسحقوا وقد اينعت في الاندلس بقاياهم . والعلويون ما عافوا حقهم في الخلافة . فهم مؤمنون كل الايمان بانهم على غبن في الصفقة ، وان كل خليفة ليس من صلب علي بن ابي طالب يغتصب الخلافة اغتصاباً وقاحا . ولكن الشباب كفيل بالمصاعب ، وابو الامين منه في العنفوان . فقبض على خطام الدولة ، يقود امته في النهج الآمن ، على حنكة واحدة ، وثقة بالنفس جموح .

والعلويون وقد اظلتهم المدينة مالوا الى الفتنة . فلجأ يحيى بن عبد الله الى الديلم يقاتل العباسيين . وانسل اخوه الى شمالي افريقيا ينشىء دولة الادارسة ويهدد منها الامويين في الاندلس ، والعباسيين في بغداد . فالغاشية دهماء . وقد انتصب عن جانبي الدولة العباسيه خصمان بطاشان من آل البيت ، يموج حولهما المؤيدون افواجاً وجماعات . على ان الفضل بن يحيى كفى ابا الامين كيد العلوي المستطيل في الديلم . ولكن من يكفيه شدة الدولة الفتية ، النامية في الشمال الافريقي ، على قوة وعموق ، يبطنها الحقد والغل ؟ . . . لم يجد ابو الامين سوى مبدإ التوازن عاصماً يقيه الهلكة . فوهب تونس للاغالبة يبنون فيها دولتهم حاجزاً لا يقحم بين العباسيين والعلويين المتحفزين للسيادة بشكيمة لا تلتوي ، وقد مالوا في معتقدهم الى استعادة حق وضاح هضيم .

ولكن الزمن شح على ابي الامين بالهناءة . فاذا صانه من كفاح العلويين فما ضمن له ولاء البيزنطيين . فالحال تبدل في القسطنطينية وقد هبت عليها عاصفة هوجاء ، امالت بالتاج عن هامة الملكة « ايرين » ، لتعصب به جبين القائد « نيسيفور » طابخ

الفتنة . ولم يشأ الباغي ان يفي بعهد الملكة الهاوية لابي الامين ، فانتهك الذمة ، وكتب الى الخليفة العباسي يهدده بالسيف ان هو مانع في اعادة ما تقاضاه من سيدة الدولة الآفلة . فغضب ابو الامين غضبة هتكت حجاب الشمس . واجاب الباغي جواباً ذبّاحاً وصفه فيه بالكلب . وجيش عليه الكتائب تبطش بقواته . فخشي الملك البيزنطي سؤ المغبة ، وانكمش الى الهدنة يلتمسها مكعوماً ، فما بخل بها عليه الخليفة العباسي وقد كبله بجزية باهظة .

على ان « نيسيفور » ما سكن حتى جاش . فكال له ابو الامين كيلة هدامة . فما اتعظ ومضى بعد لأي في الهجمة . فسدد اليه الخليفة الحازم قائده العالي الهمة ابن اعين للتنكيل والتمثيل .

والتمثيل بالبيزنطيين كان قد فتح ، على الخليفة الاسلامي الخفاق البنود ، عين شارلمان عاهل الفرنجة ، الطامع في ملك وسيع يبيت به سيداً ضخماً ، كاولئك الذين ثووا في قلب رومه وبسطوا ظلهم على العالم . الا ان بيزنطه كانت تفسد عليه آماله وهي سليلة من يحن الى الاقتداء بهم في سلطانه . بل هي نازعته سيادة العالم المسيحي وكادت تبزه في افياء المجد . فعمد الى الحيلة وباحث الملكة « ايرين » في عقد زواجه عليها ، وفي زفاف احدى بناته الى ابنها الملك قسطنطين الطفل . وضمن لها الاطمئنان الى متاخمة العباسيين بان اوفد الى بغداد ممثليه يخطبون له ود ابي الامين . فانزلهم منه سيد بغداد منزلة عالية تلألأت فيها الأبهة العباسية . ولم يلبث وفد الخليفة الاسلامي ان يمم « ايكس لا شابيل » ، يحمل الى شار لمان تحية ابي الامين ، وعهده وميثاقه ، وهداياه البالغة في نفاستها حداً لا يجاوزه معطاء . والساعة النحاسية الدقاقة في جبين هذه الهدايا ، يتلوها فيل وشمعدان وانسجة وطيوب .

وتوثق الود بين العاصمتين . ولقي به ابو الامين عوناً على الامويين في الاندلس ، ولاح منه لشار لمان سياجاً يقي حدود الملك الناهد اليه كل ملمة واستعداء . وشارلمان ناهض على دفعتين متواليتين ، قبل الميثاق وبعده ، قوات الاندلس ولوى من عنانها . ان اغتصاب القائد « نيسيفور » التاج من الملكة « ايرين » قضى على الاماني الجسام في التبسط المنشود . فاكتفى عاهل «ايكس لا شابيل» من موالاة ابي الامين بان يغنم للمسيحيين ما تعجز عنه بيزنطه . فشخصت الى بغداد بعثة ممن يعتمد عليهم تقف على اساليب الحكم وخطط الجباية . وعهد اليه خليفه العباسي بمفتاح مدفن المسيح ، بل هو اباح له المدينة المقدسة ينشيء فيها الصوامع والمناسك والكنائس . فاطمأن المسيحيون في الدولة العباسية ، وخلعوا عنهم القلق النازل بهم بعد اصطدام بيزنطه ببغداد ذلك الاصطدام العنيف . وقام للحجاج الى بيت المقدس مستشفى باموال سيد « ايكس لا شابيل » . وكانت بين الصليب والهلال فاتحة عهد جديد ابتهجت بها القلوب على السواء . وتحدثت الافواه عن عهد سبق ، يكاد يكون مماثلاً في جدواه ومغزاه ، وهو يوم لجأت الى الحبشة . الكتلة المضطهدة ، الملتفة في بدء الدعوة حول محمد بن عبد الله ، نبي المسلمين ، ولقيت من النجاشي المسيحي المضياف ، ذلك النبل القصي !

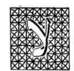
كرم ملحم كرم

المنظمات السياسية واثرها في الحياة القومية

بقلم محمود خليل صعب

استاذ في العلوم السياسية ، مدير الكلية الوطنية في الشويفات

✻



بد لنـا قبل الخوض في حديث الاحزاب السياسية من اظهـار مدلول القومية بمعناها العـام ومدى انطباقها في المجموع العربي . وما تحديد القومية وغيرها من تعابير علم السياسة بالامر اليسير ذلك لانه مع كثرة استعمال هذه الالفاظ او بالاحرى لكثرة استعمالها قل من يصيب حقيقة معناها . ما هي القومية ؟ وما هو مدى قوميتنا نحن اللبنانيين ؟

ولا بد لي من الاشارة الى شدة الغموض واختلاف الآراء العالقين بفكرة القومية في هذا البلد اللبناني وهما ناشئان فيما ارى عن امرين الجهل وتعمد التضليل . واشد الخطر من الناحيتين نلقاه عن طريق بعض مشاهير الادباء الذين يستغلون تأثيرهم الادبي لينفثوا في اذهان الناس الآراء المغلوطة والافكار المشوهة . ولا حاجة لي في تقديم الامثلة فكل من يتتبع بعض امهات الصحف والمجلات يدرك مدى تهافت الكتاب على بحث المواضيع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويشهد خبطهم في علوم لها اصولها وقواعدها التي يجهلونها .

على انه مما يبعث الى بعض الاطمئنان ان القومية في جوهرها هي شعور والشعور يرتكز الى القلب والقلب كثيراً ما يكون بعيداً عن منال المنطق . انما لا يصح ابداً الركون الى حسنا القومي اللاواعي لا بل نزيده واعيا فندرك العوامل المادية التي يرتكز اليها شعورنا القومي ويتفق الفكر والعاطفة . فنصبح ولنا من هذا الادراك اداة نرد بها الى سواء السبيل من كان ضالاً وسلاح نرد به على المارق الخارج على الحقائق الاجتماعية والتاريخية . كذلك بفهم قوميتنا والاقتناع بحقيقتها نجمع الى لذة الشعور لذة اليقين بالمبدإ الذي نسعى لاعلاء شأنه ونناضل لرفع رايته .

وعلماء السياسة فيما بينهم يختلفون في تحديد القومية . ذلك لاختلاف العناصر التي دخلت في تكوين القوميات المعاصرة العديدة . على ان الاكثرية منهم تميل الى الاتفاق على ان القومية هي الشعور او الرابطة التي تؤلف بين جماعة كبيرة من الناس وتستند الى مركب من عوامل عدة اهمها العرق واللغة والوحدة الجغرافية والدين والمصالح السياسية والاقتصادية والثقافة والتاريخ . ولا يحتم وجود كل هذه العوامل فقد تكون القومية ذات الشعور العنيف مع فقدان اي من عناصرها المذكورة . وتستهدف القومية البنيان السياسي فهي بمثابة الروح والدولة جسم لها بها تستكمل تكوينها وبواسطتها تؤدي رسالتها في التمدن والانسانية .

فاذا ما اتخذنا هذا المقياس العلمي في درس اجتماعياتنا وتجردنا عن كل ميل او هوى لوصلنا الى النتيجة الوحيدة الراهنة بشأن قوميتنا وهي اننا نحن اهل لبنان نجتمع مع اهل العراق وسورية ومصر والجزيرة العربية وسائر الاقطار الناطقة بالضاد على صعيد القومية العربية الشاملة . اما عناصر هذه القومية فهي العرق واللغة والتاريخ والثقافة والمصالح السياسية والاقتصادية .

اما من حيث العرق فالثابت ان سكان العراق وسورية ولبنان وفلسطين ينتمون باكثريتهم الى العنصر العربي . انما من المسلم به ايضاً ان العرب عند نزولهم في هذه الاقطار قد اختلطوا بالشعوب التي قطنتها قبلهم على انه لا شأن لهذا البتة وذلك لسببين اولهما انه لا يوجد على وجه الارض قومية تتصف بوحدة الاصل . فالافرنسيون امة قومية وهم مزيج من ثلاثة عشر عرقاً والطليان مزيج من عشرين عرقاً والالمان من خمسة والانكليز من تسعة وما فوق والاميركيون امة محكمة الروابط القومية وهم مزيج من كل شعوب الدنيا . والسبب الثاني ان المهم في الانتساب الى عرق معين هو الاعتقاد اكثر مما هو الحقيقة . فالعلم لم يزل قاصراً عن اثبات العرق بصورة جازمة . ومعظم سكان البلاد العربية يؤكدون او يعتقدون انتسابهم الى العنصر العربي حتى في لبنان نجد الكثيرين من دعاة الشعوبية الحديثة يصلون انسابهم باشراف الغساسنة انما يحاولون التدليل بان القومية ليست قضية قرابة دم بل مسألة حضارة وتقاليد وعادات .

والعنصر الثاني في القومية العربية هو اللغة . وتعتبر اللغة اهم مقدمات القومية بحيث وجدت وحدة اللغة وجد الاعتقاد بالاصل الواحد ووجدت واسطة التخاطب والتفاهم . واللغة وكنوزها الادبية كانت ولم تزل عنوان الثقافة وركنها الاهم . والثقافة روح الحضارة . ولقد كثر البحث في الآونة الاخيرة في الحضارة اللبنانية

وما زال المتنكرون للعروبة طوراً يصلون حضارة لبنان بالفينيقية وطوراً يصفونها بانها حضارة مركبة وان العنصر العربي فيها عرض كالعامل الاغريقي او الروماني وانها بذلك تختلف عن حضارات الاقطار العربية الاخرى. والواقع كما يراه اهل الاختصاص انه قد قامت على شواطيء المتوسط الشرقية وعلى ضفاف دجلة والفرات والنيل حضارات عديدة منهـا الفينيقية والسريانية والاشورية والبابلية والمصرية واليونانية والرومانية الا ان العرب وقد استولوا على هذه الاقطار ورثوا هذه المدنيات واقتبسوا منها . واطلعوا بالثاني مما اخذوه من هذه الحضارات ومن تقاليدهم الخاصة وعاداتهم وآدابهم وعلومهم ودينهم حضارة مركبة جديدة عربية الطابع طغت على ما تقدمها وثبتت امام ما تأخر عنها من الوان المدنيات. ولم يكن تقلب الحكام على البلاد العربية بعد زوال سلطان العربي السياسي وتعاقب الدول من ترك وانكليز وافرنسيين وطليان ليمحو هذا الطابع . لذلك ففي تمسكنـا بفكرة القومية الشاملة حرص على تراث المدنيات التي سبقت العصر العربي واظهار لفضله باعتباره جزءاً من مقومات الحضارة العربية وعناصرها .

ويجمعنا مع بقية الاقطار العربية التاريخ بامجاده ومفاخره وآلامه وويلاته فلم يزل كل ناطق بالضاد يتغنى بعهود الخلافة الذهبية اذ امتد حكم العرب من الصين شرقاً حتى الاوقيانوس الاطلسي غرباً ولم تزل تهزنا من ذكريات تلك العصور مآثر اجدادنا في العلم والحلم والقوة واياتهم في الفتح والعدل . كذلك نشترك في آلام القرون القاتمة اذ دالت دولة العرب وخضعت اقطارهم لنير الاعجام حتى مطلع هذا القرن الذي ما زال يشهد بوادر اليقظة والنهضة في العالم العربي باسره .

ولنا في وحدة المصالح السياسية والاقتصادية حافز للتعاون والتقارب. فما من قطر عربي اليوم الا وفي مقدمة امانيه الاستقلال السياسي والرفاه الاقتصادي . والاستقلال لم يزل كما قال فيه المغفور له الملك فيصل يؤخذ ولا يعطى ولا بد لنا في اخذه والاحتفاظ به من امرين القوة والاهلية. وفي اتحاد الاقطار العربية قوة لازمة . . . . (مراقبة) . . . . .

ولقد اتيح لنا في تاريخنا الحديث مراراً ان نلمس فوائد تعاون الشعوب العربية ونصرتها بعضها البعض . اما اقتصادياً فما هو في علم الخاصة والعامة انه ليس من قطر عربي يتمتع بالكفاية الاقتصادية فهل ادعى الى السعة والرفاه من ان تزول الجمارك والرسوم والقيود بين هذه الاقطار ويسهل تبادل الحاجيات ويقوم كل بلد بانتاج ما خصته به الطبيعة .

هذه هي اهم العناصر التي ترتكز اليها القومية العربية . اما الارادة فقد تجلت في تعلق العرب بوحدتهم في كل مناحي جهادهم منذ ان بعثت الحركة العربية فما قامت الجمعيات السرية ايام العثمانيين ولا نادى الشريف حسين بالثورة على الاتراك ولا علق الشهداء على اعواد المشانق . . (مراقبـة) . . ولا كانت تلك الجهود المقدسة بالتضحية ترمي الى جمع شتات العرب . . . (مراقبة) . . .

انا ان اقول ان البلاد العربية تجمعها القومية الواحدة وان ادعو الى الوحدة السياسية المركزية اليوم فاكون قد خالفت سنن الاجتماع والتاريخ. فقد طال على البلاد العربية الانفصال والانقسام ونشأت مع مرور الزمن نزعات وتقاليد اقليمية لا يمكن تجاهلها في تصميم نظام يجب ان تدعمه الارادة المطلقة . كذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار جغرافية بلاد العرب والمسافات الشاسعة التي تفصل بينها . هذه العوامل والوضع الراهن اليوم تقضي بان تستهدف الحركة العربية انشاء اتحاد . . . فيبقى لكل قطر استقلاله . . . وشؤونه المحلية . . . .
. . . (مراقبة) . . . . . .
. . . . هذا هو نمط الحكم القائم في الولايات المتحدة الاميركية وروسية واستراليا والبرازيل وسواها .

لقد حددنا قوميتنا واشرنا الى اهدافها السياسية . واهميتها في حياتنا القومية وفائدتها في السعي الى هذه الاهداف .

ان اشيع تعريف للحزب السياسي هو انه منظمة من المواطنين تعمل كهيئة واحدة وتستعين بقوتها الانتخـابية الوصول الى الحكم في الدولة وتنفيذ برامج معينة ومبادىء معلومة . يلاحظ حالاً انه يشترط التنظيم في الجماعة كما يشترط ان يكون لهم منهاج ومبادىء محددة يسعون الى تطبيقها بالوسائل القانونية الشرعية . وكل خروج عن هذه الخصائص كالالتفاف حول الاشخاص دون المبادىء او اللجوء الى استعمال القوة والعنف او عدم التنظيم يفقد الهيئة العاملة صفة الحزبية القانونية .

ولا تقوم الاحزاب السياسية في الدول ذات النظام الديموقراطي ذلك لانه يضمن حرية الفكر وحرية القول وحرية التنظيم اللازمة كلها لنشوء الاحزاب ويمكن ايضاً قلب الآية والقول ان الحكم البريطاني الديمقراطي لا يقوم حق القيام الا بوجود المنظمات السياسية

او الاحزاب التي تعتبر وان كانت خارج الجهاز الدستوري - جزءاً من نظام واداة الحكم في الدولة .

وهنا تجب الاشارة الى الحزب الفاشستي في ايطاليا والنازي في المانيا والشيوعي في روسية فهذه تكنى بالاحزاب مع انها تقوم في دول دكتاتورية الحكم . والجواب على هذا ان هذه المنظمات كانت احزاباً سياسية قانونية ايام نشوئها وعملها ضمن الجهاز البرلماني . اما بعد وصولها الى الحكم وحل كل الاحزاب الباقية والغاء قانونية تأليف الاحزاب فقد خرجت عن صفة الاحزاب الشرعية . امـا قول الفاشست والنازيين انهم انشأوا نوعاً جديداً من الحكم يقوم على وجود حزب واحد في الامة فما هو الا محاولة لستر استبدادهم بشؤون الدولة دونما رادع او رقيب وتبرير لبطشهم باخصامهم السياسيين ومن لا يخضعون لنظامهم ومبادئهم . أما في روسية فالشيوعيون تمكنوا من الوصول الى الحكم بقدرة زعماء حركتهم وحسن تنظيمهم وبمساعدة منظمات العمال الروس الذين يمثلون السواد الاعظم من الشعب الروسي . ثم انهم يقولون ان دكتاتوريتهم هي تدبير موقت يدوم حتى يألف الروسي النظام الشيوعي وعندها تعود السلطات العامة الى يد الشعب عن طريق هيئاته الاقتصادية التمثيلية .

والان لننظر في فوائد الاحزاب والاغراض التي تفي بها . ان اولى فوائد التنظيم الحزبي هي التعبير عن ارادة الامة والدلالة على آرائها وميولها . كم من الناس يتكلمون عن او باسم الرأي العام وهم ينطقون عن رغباتهم او عن فهم مغلوط لاتجاهات الفكر في الامة . فالحزب السياسي يتيح لافراده تبادل وجهات النظر في القضايا العامة وصياغة رأي الاكثرية في مبادىء واهداف ومشاريع . ومن مجموع آراء الاحزاب العديدة مع معرفة قوتها الانتخابية يمكن الوقوف على ما يصح ان يسمى بالرأي العام او الآراء العامة في الامة . وفي سعي الاحزاب السياسية لرفع شأنها وتنمية قواها المعنوية والانتخابية تساعد على فهم ميول سواد الشعب لانها تحاول تفهم الاتجاهات المختلفة في تفكير وحياة الامة لتنسجم مبادؤها وميولها وغاياتها مع هذه الاتجاهات فيقبل الناس على تأييدها . ولذا فالاحزاب السياسية تعتبر ارقى اداة للتعبير عن الرأي العام كما انها انفذ واسطة لتكييفه وجعله مؤثراً في سير الامور العامة .

وفي السعي لتحقيق غايات الاحزاب بتطبيق نظرياتها في شؤون الدولة والمجتمع ووصولها الى كراسي الحكم تظهر فائدتها الثانية . وهذه الفائدة هي ميزة كل تنظيم على الفوضى وكل تنسيق على التشويش والبلبلة . فالعمل غير المنظم يضيع الجهود فيفسد الواحد على الآخر عمله وتهمل نواح عديدة من طرق السعي وبالتنظيم ترتب الاعمال والمراكز وتوزع الواجبات حسب الكفاءة والمقدرة والظرف الخاص فتتحد القوى وتنسجم الجهود وتحدد المسؤوليات فيطالب كل بما عمل ويحمل تبعة سعيه .

والاحزاب السياسية مدارس في علم السياسة واصول الحكم فيها يفرض قادة الفكر مبادئهم وآراءهم بالتوضيح والاقناع فيقومون بذلك بمهمة تثقيفية بين سواد الشعب فيفهم المواطنون قضاياهم العامة ويكوّنون عنها الفكر الواضح والرأي الصحيح . ومن جهة اخرى يُفسح التنظيم الحزبي مجال العمل المشترك في الحقل العام اذ يقضي بانتخاب رؤساء وموظفي الحزب وتوزيع الصلاحيات واصدار الاوامر وتلقيها وتنفيذ المهمات وما هذا الا صورة عن ممارسة الحكم والادارة ضمن الاجهزة الحكومية فان قدر للحزب الوصول الى كراسي السلطة انتقل معه شيء من تنظيمانه وسهل على قادته قيادة الامة والاشراف على شؤون الدولة وتوجيه الموظفين في مهامهم السياسية والادارية .

والفائدة الاخيرة والكبرى للاحزاب السياسية هي انها جزء متمم للجهاز الحكومي الديموقراطي وبدونها لا يمكن للحكم الشوروي ان يطبق على وجه حسن . فبقدر ما تستتم الاحزاب تستكمل الديموقراطية . فالاحزاب تقوم بالقسم الاوفر من العمل الانتخابي عن الحكومة من تنظيم الدعاية للمرشحين وللبرامج وتحقيق اللوائح الانتخابية ومراقبة صحة الانتخاب . واذا ما تمت الانتخابات ساعدت الاحزاب على سير الحياة البرلمانية على شكلها فالحزب الذي يملك الاكثرية بين ممثلي الامة يحتل كراسي الحكم بينما يحتل حزب الاقلية كراسي المعارضة ويقف للحكومة بالمرصاد يحاول كشف اخطائها واظهار هفواتها حتى اذا ما وفق الى استمالة الاكثرية الى جهته سقطت الحكومة وانتقل الى الحكم وانتقلت الحكومة الى المعارضة وهكذا دواليك فـلا يجمح حب السلطة بجماعة الى الاستبداد بالحكم والاستئثار بالرأي معرضين عن صوالح الامة دونما رقيب او رادع .

هذه هي أهم فوائد الاحزاب السياسية فهل نحن العرب بالنظر الى هذه الفوائد بحاجة الى التنظيم الحزبي ؟ لا اتردد بان اجزم باننا نحتاج لا بل نفتقر اليه وهذا موضوع درسنـا في العدد القادم ان شاء الله .

محمود خليل صعب

العقل والايمـــــــان

بقلم ابو مدين الشافعي
ماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الاول





اطراف البحوث المتفرعة عن علم النفس الاجتماعي بحث في تطور معاني الكلمات من المعنى المادي الى المعنى المجرد البعيد عن كل ما يشوب المادة .

ونشعر بلذة عندما نعلم ان كلمة عقل مثلا التي هي شعار التجريد والتي تدل على ما هو مصدر المعنى ترجع الى اصل مادي وترجع الى فعل محسوس وهو الربط : عقل البعير اي ربطه وقد جاء في الحديث الشريف : « اعقلها وتوكل » ولا شك ان وصول معنى العقل من معنى الربط المادي الى معنى الربط المعنوي الذي هو من عمل الفكر هو تطور لغوي وان كلمة العقل المعنوي معناهـا الربط ايضا وعملية التعقل في حد ذاتها ليست الا عبارة عن ربط الاسباب بالمسببات والعلل بالمعلولات فالشيء يكون معقولا اذا اعتقدنا انه مرتبط مع ما عرفناه من قبل وتوهمنا اتصاله بما نعهده ونعرفه .

ويكون المعقول هو المرتبط . فاذا قلت لك مثلا : انتهت الحرب فاما انك تستغرب وتقول هذا امر غير معقول واما انك تصدق وتقبل هذا الخبر وتراه معقولا . وموقف سامع الخبر متوقف على ما وصل اليه من اخبار قبل سماعه النبأ فان كان الشخص قد وصل الى علمه ان زعماء الامم المتحاربة في مفاوضات صلح وتتبع بنفسه هذه المفاوضات خطوة خطوة وانتهى به الامر الى ان مشكلة الصلح متوقفة على خلاف جزئي فاننا نتوقع حتما ان نرى هذا الشخص يتقبل خبر الصلح ويصير ذلك الخبر معقولا لديه اي مرتبطا بما كان قد وصل اليه من معلومات . ويحكم على خبر الصلح بأنه معقول .

وهذا الموقف يجعلنا نتصور الموقف المقابل له بسهولة عندما نأتي الى شخص كان قد وصله قبل لحظة نبأ غارات المتحاربين المتبادلة على عواصمهم واشتداد المعارك في جميع الميادين وتنبؤ الكتاب الحربيين بفتح ميدان جديد فلا يمكن لمثل هذا الشخص ان يتقبل بسهولة نبأ الصلح ويرى ذلك امراً غير معقول . ولقد كنا في زمن مضى نعتقد بسهولة ان عدم رجوع شخص نزل الى البئر راجع الى خطف العفريت . وذلك لان فكرة العفاريت وقوتها ونفوذها كانت سائدة في القرون السابقة ولكن هذا التأويل صار غير معقول لانه لم يعد يرتبط مع وصل الينا من معلومات متسلسلة يرتبط بعضها ببعض . فاننا لا نستطيع ان ننتقل اليوم من مجموعة هذه السلسلة التي نسميها العقل الى فكرة تأثير العفاريت فأصبح هذا غير مقبول عقلياً وان المعقول هو ان يكون امتناع صعود النازل الى البئر راجعاً الى سبب مادي كنقص المواد الضرورية للحياة مثل الاكسجين الذي عرفنا صلته بالحياة ودوره الهام في التنفس واحتراق خلاصة المواد الغذائية .

نستطيع الآن ان نخطو خطوة واسعة متسائلين عن كيفية هذا العقل او هذا الربط وعلى اي اساس يقوم . لقد كانت هذه النقطة مشكلة دقيقة في تاريخ الفكر الانساني واصطدمت بها عقول الفلاسفة . وكانت افضلية السبق للغزالي في وضعها واثارتها وساهم مع مفكري اليونان في هدى الفكر الانساني الى التأمل في ذاته بالانعكاس على نفسه فكان التفكير في التفكير وتعقل العقل . وتكونت مشكلة في تاريخ الفلسفة عرفت باسم مشكلة العلية . واوضح الغزالي عدم وجود شيء يربط بين العلة والمعلول او عدم ربط حقيقي فيما يصفه بالمعقول والواقع انه يحصل في انفسنا اقتناع ويصير المعقول لدينا مرتبطاً تمام الارتباط مع ما كنا نعرفه من قبل ولكن البحث الدقيق لا يجعلنـا نجد اي شيء يربط بين العلة والمعلول . وجاء دفيد هيوم D. Hume بعد الغزالي وافاض القول في هذه النقطة التي صارت تنسب اليه . وجاء E. Kant عمانويل كانت بعده واستخرج من هذه المشكلة فرعاً جديداً في الفلسفة وهو نقد العلم الذي اعطاه تقدم العلوم مكانة كبيرة من بين البحوث العالية . وقدم نقد العلم خدمات كبيرة للعلوم وصار

حافزاً للعلماء على التوسع وقرب العلوم التجريبية من الفلسفة التي تحاول عن طريق النقد ان تمحص وتشرح لتفهم وخرج «كانت» من بحوثه بنتيجة عظيمة نحن في اشد الحاجة اليهــا في هذا الشرق المتبلبل الفكر بين العلم والدين .

وصل «كانت» الى حل ، وفق لهذه المشكلة فميز بين شيئين طالما خلطنا بينهما ميز بين العقل النظري الخالص وبين العقل العملي ونستطيع ان نعبر عن ذلك باصطلاح عامي فنقول ميز بين العقل والقلب ولكن تمييزه لم يكن فصلا وانما هو تمييز بين مستويين من العقل او هما عقلان بمعنى سلسلتين ترتكز احداهما على المحسوس وتقوم الاخرى على التلقين واعتقد ان كل الجهود في محاولة التوفيق بين السلسلتين عبث رغم كل الجهود التي بذلت في هذا السبيل . فالتفكير الديني تفكير يتطلب الرجوع الى ما نعرفه عن الدين ويكون الامر معقولا دينيا اذا كان متفقاً مع ما ورد في الدين ؛ ينتهي العقل الديني الى نص قرآني او انجيلي وكل انفصال وعدم ارتباط بين المعلومات الدينية فهو غير معقول . ليس من المعقول دينياً الا يجازى الظــالم وان كنا نرى بعض الظلام يتمتعون بالفرار من الجزاء. وذلك لان هذا القول لا يرتبط مع قول الله تعالى « وكذلك نجزي الظالمين (الآية) فكل من السلسلتين عقل وكل عقل يقوم على الايمان وقد اشرنا من قبل ان الربط بين العلة والمعلول لا يقوم على شيء محسوس وانما هو عبارة عن كثرة تتابع شيئين نربط بينهما ونجعل الثاني معلول الاول وكلما رأينا ذلك وجدناه عاديا ومعقولا لان التكرار اكسبنا عن طريق العادة ثقة قوية وصلت الى درجة الايمان الشبيه بالثقة التي يتطلبها الدين في تصديق النبي المرسل . وقد اوضح ذلك De Lacroix في بحثه النفساني للايمان ووجد ان الايمان هو عبارة عن حدود الانسان لان العلم نفسه ينتهي الى ايمان فنعقل الامور بالايمان بوجود صلة بين العلة والمعلول ونصل في الاخير الى مبادىء يقوم عليها العلم دون ان تكون المبادىء معقولة لدينا اي مرتبطة بشيء آخر نعرفه فالعلم كالدين يقوم على الايمان .

ولكن ما الحكمة في ازدواج العقل في الانسان أليس من الاحسن ان يخضع الانسان الى عقل واحد ؟ بل من الاسلم ان يكون ذلك لان ازدواج العقل يؤدي الى الفساد . ولهذا يعتقد البعض انه يجب ان نقضي على احد العقلين او يجب ان نوحد بينهما ونوفق بينهما والحقيقة ان ليس من مصلحة الانسان ان يوفق بينهما او يقضي على احدهما وزيادة على ذلك ان محاولة الجمع والتوفيق كمحاولة القضاء على احد العقلين محاولة عبث لانه لا يوجد في الحقيقه الا عقل واحد يقوم بوظيفتين مختلفتين : وظيفة داخلية خاصة بسريرة الشخص فيما يتعلق بحياته الفردية وهذه تتطلب التكيف في الوسط الخارجي وتقوم على الحواس وتتطور الى ان تكون الانا الفردي (Le moi individuel) الذي يريد دائما ان يفهم الموقف الخارجي على ما عرفه من حواس وما اختزنه من تجارب في ذاكرته وهذا الانا الفردي ابتدأ مع الولادة وينتهي مع الموت . وهو يسير حسب السلسلة الحسية التي تكونت بمرور الايام وهو لا يحكم الا بالنسبة الى هذه السلسلة فالمعقول عنده هو ما يتفق مع الحس وغير المعقول هو الذي لا يمكن ربطه مع سلسلة التجارب الحسية . وهذه احدى وظيفتي العقل وهي التي تشرف على الحياة الفردية . وكما ان الطبيعة تقاوم الانسان بما تفرضه عليه من قوانين لا مفر له من الخضوع لها كذلك المجتمع الذي هو وسط اكثر فاعلية من الطبيعة يقاوم الفرد ويعمل على الحد من طغيانه فتراه يفرض عليه قيود او قوانين لا يستطيع الانسان الخروج عنها من بين هذه القوانين الاجتماعية التي تحاول ان تحد من طغيان الفرد في مصلحة الجماعة التي تعود على مصلحة الفرد نجد الاوامر الدينية . فهي دائما تعمل على تنظيم اعمال الانسان وهي ترمي كلها الى غاية واحدة هي المحافظة على النوع الانساني ونفس الحلول التي تقدمها للفرد ترمي دائماً الى خضوع الفرد الى رأي كلي ولا يستطيع الشخص ان يقوم بأعمال تخالف مصالح النوع فجاءت الاديان لتقوي فيه قوة فطرية موجودة فيه وهي الضمير الذي هو عبارة عن الوظيفة الثانية للعقل وهذه الوظيفة مختصة بتنظيم حياة الفرد في المجتمع وجعلت الاديان التي هي عبارة عن اوامر ونواه ترمي الى مصلحة الانسان في شخصه كفرد وفي شخصه كعضو مجتمع . وخدمته مباشرة وبواسطة المحافظة على مجتمعه ونوعه . فهذه الوظيفة تنظم عمل الانسان اكثر من اي شيء آخر وتكاد تكون مختصة بذلك .

وبهذا نرى ان العقل واحد في الانسان وهو قائم في كل لحظة على الايمان وهو يرمي الى غاية واحدة وهي المحافظة على الفرد وهو يقوم بوظيفتين هامتين : احداهما نسبناها الى العقل والاخرى الى القلب او الضمير وهما في الحقيقة شيء واحد نستطيع تسميته العقل الذي يرجع دائما الى الايمان . . .

القاهرة

ابو مدين الشافعي

بعلبك

لاحمد الصافي النجفي

دمشق

٢

دار وحيٍ، أم قلعة انا فيهـا . كنبيٍ يستنزل الالهامـا
صرتُ ارنو الى الطلول وارنو لعصور مضت ومجد أقامـا
إيه اطـلالَ بعلبكَّ أجيبي أين خلفت قومك الاعلامـا
هل يُبيد الحِمامُ قوماً اذا ما نهضوا للحروب قادوا الحماما
هل يُبيدُ الحِمامُ قوماً وهذي غُرّ آثارهم خلَدْن عظامـا
تلك أرواحهم خلَدْنَ بفنٍ جلّ عن أن يُخلّد الاجساما

هيكل باخوس اله الخمر

إيه باخوس كم شربتَ قديماً من سُلاف وكم سقيت ندامى
صرعتهم منك المدام ولكن انتَ صاحٍ مهما احتسيت المداما
كم سقيت الورَى بجامك خمراً ثم أعقبته من الموت جامـا
انت تسقي الوضيع كأسك حيناً ثم تسقي بها المليك الهمامـا
رفستهم رجلاك، لم ترعَ ذلاً لوضيعٍ، او للمليك احتشاما

اعمدة بعلبك

والعواميدُ خلتُها في صلاةٍ رُكّعاً حول معبدٍ وقيامـا
صرع الدهرُ بعضهن، وبعضٌ واقفات تصارع الايامـا
وشجاني من العواميد ستٌ واقفاتٌ صفاً يروع نظامـا
ناظرات يسألن عن قرناءٍ قد قطعن القرون والاقواما
دُمْنَ يبحثن عن رفاق فلا يبصرن الا الايوان والاهرامـا
وبقايا من تدمرٍ كعروس ذات حسنٍ بالبر هامت وهاما
يتساءلن هل اخذنا عهوداً لليالي او هل قطعنا ذمامـا
درستْ دوننا القصور ودمنا ثم نرجو ان سوف نبقى دواما
يتباهين عكس طبع الغواني أي أخت تربو على الاخت عاما
يُبغض السن من يخاف فناءً واخو الخلد يعشق الاعوامـا
بمرور السنين يزددن حسناً ثم يزددن للخطوب ابتساما
يا لست من العواميد هاجت في فؤادي ذكرى تؤج ضراما
أي شأن لهـا وأي ملوك سجدت حول عرشها تترامى
إن رأت سجدة الملوك فهذا الدهر القى لهـا السجود احتراما
أنا اكرمتها بدمعي احتراماً وكرام الانام تبكي الكراما

يا لست من العواميد تُلقي لجميع الورى دروساً جساما
واقفات كأنها خطباء تعظ الارضَ والسما والاناما
قائلات: المجد يبقى وان كان بنوه تحت التراب رماما
يا لست من العواميد كم قد رفعت ثم نكّست أعلاما
صافحت في الزمان روماً وعُرباً ونصارى الغزاة «والاسلاما»
صافحتهم وودعتهم بكف لم تطوّل وداعها والسلاما
ولكم ابصرت، ولم تتزعزع، عاديات تجر موتاً زؤاما
كم تلقت بصدرها من سهام ورأت للعدى قناً وحساماً
بسمت نحوها الغزاة وعادت وهي تُذري لها الدموع انسجاما
يا لست من العواميد ظلت كشموع الدهر تجلو الظلاما
قد تعالين فاتحدن رؤوساً ثم أحكمن في الثرى الاقداما
حاكيات وسط الفضا اخوات قد تماسكن واتحدن غراما
وضع الحسن والبها تاج حسن واحداً فوق رأسهن تسامى
وحّد الحسنُ بينهن بتاج حيث في الحسن قد بلغن التماما
فتعاهدن في كفاح الليالي لا يبارحن خطهن انهزاما
او كقواد جحفل قد اطلوا يصدرون الآراء والاحكاما
يتناجون دون تحريك هام حيث ولّوا نحو الجيوش الهاما
ظل بعضٌ يفضي لبعض برأي واستمروا يراقبون الصداما
يا لست من العواميد تبكي اخوات لها قضين انهداما
هدّمتها كف القضا فاشتهت لو حطمتْ معول القضا الهدّاما
ذكرت عهدها القديم فأمست وهي يقظى تشاهد الاحلاما
كم وعت خطبة واصغت لنجوى آه لو انها تعيد الكلاما
تتراءى كانها كف جبار عظيم زادوا بها أبهاما
جسمه القلعة المهيبة لكن ألبسته يد البلى أسقاما
فانهداماتها جراحٌ بجسم طالما مارس الوغى والزحاما
كسرت عظمه الليالي فلم يُبد انكساراً ولا اشتكي آلاما

تماثيل الحسان

وسبتني فيها تماثيلُ غيد عبدتها اهل الهوى اصناما
سكب الفجر ضوءه في ثناياها والقى الضحى عليها ابتساما
يشتهي الثغر لثمها وهي صخر ويذوب الفؤاد فيها هياما
همتُ فيها فقلت هزءاً بنفسي أي صب قبلي أحب الرخاما
عاريات مثل الملائك لم يسدلن ستراً ولا وضعن لثاما
تخذت عفة النفوس رداء وسنا الحسن في الجبين وساما
لم تشوّه بالصبغ يوماً وجوهاً جعل الحسن عندهن مقاما
هن مها شاب الزمان صبايا راميات بلحظهن سهاما
وشجتني منهن هيفاء خودٌ سامها الحظ دونهن اهتضاما
شوّه الدهرُ ثديها بانكسار قبل ان يبلغ الرضيع الفطاما
فرنت نحو صحبها بانكساف خوف نقص يُعزى اليها اتهاما
وتمنت لو اكتسين جميعاً برداء ليستر الاجساما

صورة الاسد فوق الاعمدة

ورأيتُ الضرغام فارتعت منه أيّ قلب لا يرهب الضرغاما
مُطلياً صمته المهيب زئيراً ساكناً خضرة السما آجاما
أسد الغاب خلته احتل برج الاسد اليوم واعتلى الأجراما
فاتح الطرف كاشر الناب يبغي ان يخيف القضا اذا ثمّ حاما
نصبوه في الجو حامي عرين يقظ العين لا يحب المناما
ظل في الجو حارساً لحماه ومخيفاً وحش الدجى والطغاما
نام اسد الحمى وظل مفيقاً لا يذوق الرقاد حتى لماما

مسارح القلعة

وشجتني فيها مسارح لهو وفنون تنور الافهاما
كم علت فوق ساحها خطباء وغوان ترجع الانغاما
أقفرت تلكم المسارح منهم واستحالت ساحاتها آكاما

*

ان اطلال بعلبكّ كتاب قد حلا مبدأ وطاب ختاما
فيه تبدو طلاسمٌ انا مها رمت حلاً لها ترد إبهاما
حار فيها وهي خلت بأني كنت فيها اجسم الاوهاما

الفرص السوانح

بقلم شفيق الارناؤوط

◆

تمر بالانسان فترات في هذه الحيـاة يكون عند بغيته قاب قوسين او ادنى فيحول دون الوصول الى ذلك شيء من الاهمال او ضعف الارادة او الوجل. وربما سعى المرء بكل سبب فلم يفلح ثم يقع له سبب لم يمهد له وسيلة قط فاذا هو عند بغيته واذا هو قد ملأ يديه مما كان قد يئس منه، فلا يكون عجبه كيف خاب في الاول باشد من عجبه كيف نجح في الثاني. غير ان نجاح الامم وخيبتها غير نجاح الافراد وخيبتهم ولا سيما اذا توفرت لها اسباب النجاح فانكمشت على نفسها او تراجعت.

لقد سارت حكومتا سوريا ولبنـان الوطنيتان في طريق الاستقلال شوطاً بعيداً. بيد ان هناك فرصاً هي في متناول يدنا في هذه الحرب، لا تحتاج الى جهاد ونضال عنيفين، ومع ذلك فهي تؤدي لنا منافع كثيرة متممة لروح استقلالنا بل هي من صلبه. تلك هي التعريف ببلادنا في شتى النواحي في فرصة من احسن الفرص: فرصة اختلاط جيوش الحلفاء ببلادنا اختلاطاً كبيراً. ولا ننسى ان بين هذه الجيوش كثيراً من الادباء والعلماء والمستشرقين والصحافيين الذين يقراون عن البلاد العربية وهم عنها بعيدون. وما زلت اذكر ذلك العالم البريطاني الذي وقف بجانبي امام ساقية فيهاماء راكد يبحث بيديه في الوحل يرى بعض الحشرات والديدان، ودوي المدافع في عام ١٩٤١ يصم الآذان فوق رؤوسنا، فكنت اجفل وكان يسأل: هل في مكاتبكم هنا كتب تبحث في حشرات بلادكم وديدانها؟

ان جل الجنود يبتاعون، اول ما يبتاعون، لدى دخولهم المدينة او القرية صور البلاد المختلفة ومشاهدها المتنوعة وآثارها. وما عليك الا ان تزور هياكل بعلبك او قلعة حلب وغيرها من القلاع الاثرية ودور المتاحف في بيروت ودمشق وحلب حتى ترى بام عينيك كيف تعج في كل يوم بالمئات من جنود الحلفاء على اختلاف درجاتهم واوطانهم. بل راقب — ان شئت — المكاتب وحوانيت السجاير التي تباع فيها صور البلاد على اشكالها، تر اي اقبال على تلك الصور يجعل اصحابها يعيدون طبعها ويصورون غيرها من المشاهد بكميات وفيرة.

ترى، ما هي هذه الصور التي يتهافت على شرائها هذا الجندي الذي يحملها في جيبه الى بلاده او الى مواطن اخرى.

نظرة واحدة الى مجموع تلك الصور تعطيك الفكرة السخيفة الواضحة عن البلاد. فمناظر بعض الباعة المتجولين القذرين وصور الازقة الضيقة المسقوفة وبعض الكهول مرتدين سراويل القرن التاسع عشر وغيرها ... متروكة لاذواق البـاعة والمصورين وطمعهم في الربح. والبلاد العربية بأسرها كانت لدى الغربيين وما تزال محط رحلاتهم وزياراتهم المثالية لقد سقيتها وآثارها وتاريخها. فاين المصورات والنشرات المعدة لذلك؟ بل اين المجلة او الكتاب الحكومي الذي يوزع على المكاتب ودور المتاحف والآثار والحوانيت التي تتجر بمثل ذلك لتباع بأسعار زهيدة غايتها حفظ سمعة البلاد واطلاع الغربيين على مفاخر نهضتنا الحديثة؟ بل اين الرقابة على المصورين والبائعين الذين يشترون خيال الغريب عن بلاد الف ليلة وليلة ... فيتفننون في اختيار المشاهد؟!

لقد كان لسوريا ولبنان في هذه الحرب ضجة عالمية اثارتها حوادث ١١ تشرين وغيرها... كما ان استقلالها الحديث وتمثيلها لدى الدول الكبرى وفي المهاجر بالسفراء والقناصل جعل لهما مكانة مرموقة غيران النواحي العلمية العملية في الدعاوة لنا اسرع في توطيد علاقاتنا مع الدول واثبت في تاريخنا وحضارتنا بين الشعوب. اننا لنرى الدول الحليفة كيف تعرفنا الى بلادها وحضارتها الزراعية والصناعية وتقدمها في مضمار العلوم والفنون منفقة من اجل ذلك اموالاً طائلة في الحرب وفي السلم. فما احوجنا نحن اليوم الى تعريف بلادنا اليهم وهم بين ظهرانينا الوف ومئات الالوف. وما احوجنا الى مكاتب للتعريف بنا في العواصم التي تمثلنا بوزرائنا المفوضين تكون كملحق لهم ثقافي او صحافي يلفت انظار الدول نحو قضايانا ويجمع شمل مهاجرينا وطلابنا ويوحد جهودهم وييسر امورهم ويحثهم دوماً على العمل لما فيه مصلحة بلادنا.

وان لنا لقضايا مهمة بعد الحرب يتعذر الخوض فيها الآن اهمها قضية مؤتمر السلم ومركزنا فيه. فالدول الصغيرة التي لا تسعى الى تثبيت كيانها بنضالها المتواصل في مثل هذه الظروف الخاطفة مقضي عليها، لدى دول السلم الكبرى، بالاهمال. واذا حق لنا ان نبحث في مؤتمر السلم عن مصيرنا المبتوت وعلاقاتنا الدائمة مع الدول الاجنبية وجب علينا ان نعطف بنظرة نافذة الى جارة لنا عزيزة وشقيقة كريمة ما فتئت — منذ الحرب الكبرى حتى هذه

الحرب رازحة تحت تذبذب المصالح المتباينة والاهواء المختلفة. ومن منا لم تعرض له مشكلة فلسطين عابسة قاتمة ؟ من من الناس يقف وقفة مفكر مخلص ولا يأخذه العجب والالم من مصير هذا القطر الصغير الهانئ. !!

ان الصهيونيين ليعقدون المؤتمرات ويؤلفون الاحزاب والجمعيات ويبثون دعوتهم في اقطار المعمورة بكل وسيلة ممكنة فماذا اعددنا لهم ؟ ماذا اعدت كل حكومة من الحكومات العربية للدفاع عن هذا الجزء الذي لا يتجزأ من الوطن العربي الاكبر ؟!

ان هذه الحرب هي خير كفيل لحل هذه المشكلة اذا عرفنا كيف نستفيد من هذه الظروف السانحة وكيف نقف حكومات وشعوباً تجاه هذه المشكلة وكيف نبسطها للشعوب في العواصم التي يقيم فيها سفراؤنا وقناصلنا.

لقد انعقد في زهاء نصف سنة خمسة مؤتمرات في القاهرة والقدس من اهم المؤتمرات نفعاً للبلاد العربية. اولها مشاورات الوحدة العربية المتنـاولة حتى آخر كانون الماضي بقصر انطونيـادس بالاسكندرية. ثانيها المؤتمر الزراعي لاقطار الشرق الاوسط المنعقد في شباط الماضي في القاعة الشرقية بالجامعة الاميركية في القاهرة. وثالثها المؤتمر التجاري المقام في القدس بين مصر وفلسطين ورابعها المؤتمر المالي لدول الشرق الاوسط المنعقد في نيسان بالقاعة الشرقية بالجامعة الاميركية في القـاهرة ايضاً. وخامسها مؤتمر تدريس المواد الاجتماعية في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة.

ولاول مرة في التاريخ يجتمع مندوبو جميع الحكومات العربية في مكان واحد في مؤتمر واحد للبحث في امور حيوية هامة للبلاد غايتها جعل البلاد العربية اتحاداً سياسياً، ووحدة اقتصادية تامة تكفي نفسها بنفسها، ودرس تطورات التضخم المالي وبحث وسائل علاجه الى جانب دراسة نظم الضرائب المباشرة وغير المباشرة والقروض وغيرها...

لست بصدد التكهن عن مشاورات الوحدة حتى تتبين نتائج المؤتمر اذا عقد ومثلت فلسطين وشمالي افريقيا تمثيلاً صحيحاً. ولن اتكلم عن المؤتمر التجاري في القدس لان نفعه محصور بين القطرين الشقيقين مصر وفلسطين. اما المؤتمران الزراعي والمالي فليس ادل على قيمتهما من وجود خيرة الرجال الاقتصاديين والماليين الممثلين لحكوماتهم، وحضور الخبراء الفنيين البريطانيين والاميركيين مما اتاح لرجالنا القوميين ان يعركوا السياسة الاقتصادية القومية والمالية عركاً علمياً عملياً قوياً. وهذه فرصة ما كانت لتتاح لولا ما احدثته هذه الحرب من ازمات شتى. وكنا نتمنى لو ان الفائدة من هذين المؤتمرين لم تقتصر على المندوبين والحكومات فحسب بل تتعداهم الى شعوب العربية جمعاء. ليكون لمثل هذه المؤتمرات وتلك البحوث دوي يني بالغرض القومي الذي يجب ان نفكر فيه. فنحن لم نقرأ كتاباً شاملاً وافياً عن نتيجة هذه المؤتمرات بل ولم تذع عنها نسخ صغيرة مع ان المندوبين تناولوا بالبحث العميق اهم المشاكل الزراعية والاقتصادية المتعلقة بكل قطر من الاقطار العربية. فكانت هناك تجارب ومناقشات وملاحظات قيمة جديرة بأن تنشر وتذاع حتى يجني منها الجمهور الفائدة المنشودة.

وها ان مؤتمرين كبيرين آخرين لا يقلان اهمية عن المؤتمرات السابقة بل هما يضاهيان تلك المؤتمرات نفعاً اذا روعيت الغاية البعيدة منها: هما المؤتمر الطبي الذي ينعقد بلبنان في هذه الايام ومؤتمر المحامين العرب الذين تدعو اليه نقابة محامي دمشق. اما المؤتمر الطبي السادس المقام في العام الماضي بمصر فقد كان له رنين قومي داو ما زال اطباؤنا يذكرونه بفخار واعجاب. فعسى ان يكون في هذا العام ايضاً من خيرة المؤتمرات القومية التي تدرس فيها مشاكل الجسم والنفس معاً في البلاد العربية. واما مؤتمر المحامين العرب فهو الاول من نوعه. والرأي العام العربي يعول كثيراً على مثل هذا المؤتمر لانه يمثل زهرة الثقافة والنضوج السياسي في البلاد. وان غداً لناظره قريب.

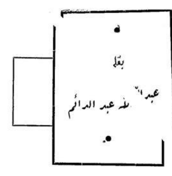
هذا ولا يفوتنا ان في البلاد العربية احزاباً قومية كبرى جديرة بأن تحقق اليوم من الاماني المنشودة ما يتعذر تحقيقه ابان السلم. فاذا تضافرت جهودها وجهود رجال الحكم كان لنا في الخارج كما في الداخل قدرة على رفع الصوت لا محة فيه... وقوة على التنظيم لا قبل لاحد بتهديمه.

فلننتهز الفرص السوانح ولنواصل السير الى الامام بقوة وايمان. ولماذا لا يكون النصر لنا ؟!

صبرا — شفيق الارناؤوط

حول مناقشة رسالة الدكتور عبد الرحمن بدوي

مستقبل الفلسفة في الشرق العربي



« دع الحياة تكن ارضاً والمذهب سماء » : هذه هي الكلمة التي عبر بها « لوثر » عن الطابع الاساسي الذي يطبع كل فلسفة حية وكل فكر بكر ، وهذه هي الكلمة التي اثارتها في تلك المناقشة لرسالة الاستاذ عبد الرحمن بدوي .

واسرع هنا فاشير الى هذا القول اللوثري وما في ظاهر لفظه من تقابل ، لا ينبيء في حال من الاحوال عن عزل للحياة عن التمذهب والتفكير الفلسفي ولا يشعر بانفصال بين ما يريد ان يسميه عشاق التجزيئات والتقسيمات العمل والنظر ، فقد آن الوقت الذي تنبذ فيه الاذهان تلك النظرات التعارضية كيما تتيقن ان المجهود البشري لم يكن في يوم من الايام الا واحداً وانه مهما اختلفت درجته فلم يختلف طبيعته قط ، وان ابعد الافكار تجريداً وتحليقاً تلتقي في النهاية مع اكثر الاعمال قرباً من الواقع .

انما الذي يفهمه العصر الحديث من هذا القول هو ان ميدان السماء لا يتصف بواقعية اقل من تلك التي يتصف بها ميدان الارض وان هناك امام المجهود البشري مجالين غير متعارضين عليه ان يغزوهما على السواء وان ينعم في وطنها ، فيسير بالفكر التجريدي حتى نهايته ، كما يحكم تركيبه ، عندما يطأ الميدان الاول ميدان الفلسفة والفكر المجرد ، ويستمر في الانحباس والاقتصار على اصغر ما يمكن اجترازه من الواقع ، كما يشبعه تحليلاً ، عندما يتثبت في الميدان الثاني ميدان الفبركة وصنع الآلات اذا اردنا ان نتبنى تعبير برغسون .

ولقد عانى الفكر الانساني منذ اقدم عصوره اعنف صور النزاع بين حملة هذا المذهب الحي في فهم الكون من الذين لايرون في تيارات الفكر المجرد واستطالاته التي ينميها الفلاسفة ويتهمهم الناس فيها بكثير من الخيالية والاستحلام الا قوى واستطاعات

بشرية واقعية لا مجال الى انكارها ولا محل للمفاضلة بينها وبين لة وى الفيزيائية ، بين المدافعين عما يسمونه مغالطين بالمنطق الواقعي او المذهب التجريبي الحسي ممن لا يؤمنون الا بما يقع تحت مبضعهم وتناله ايديهم ولا يأمنون الا لما يقاس بمقياس او يزان بميزان .

غير ان الواقع الذي لا مجال الى المرية فيه هو ان الفكر البشري لم يستطع انه يتقدم الا في الساعة التي استطاع فيها ان يرتفع فوق حاجته المباشرة كيما يعي هذه الحاجة اولاً وكيما يعي هذا الوعي ثانياً فيعلو فوق ذاته ويسير بها نحو الامام بالتالي قاذفاً لها دائماً وسط الطريق اللانهائية التي فتحها امامها قصبا للسبق جديدة لا يلبث ان يبعدها كلما اقترب منها .

والواقع الذي لا شك فيه ايضاً هو ان البذور الاولى لكل فكر حي استطاع ان يعيش ويبقى وان ينتج من مظاهر المادة في العصر الحاضر ما تقر له عيون اتباع النزعة الحسية ، ليست في حقيقة الامر الا في ثنايا تلك التفكيرات المجردة التي شحذت الفكر الانساني والا في تلك العوالم العالية المتتالية التي بناها الفلاسفة الدينيون اولاً ثم ورثوها الفلاسفة الميتافيزيائيين ثانيا خلق هؤلاء منها ابنية ضخمة غنية الشعاب خصبة المسارب سماها بعضهم عالم المطلق وسماها آخرون عالم النومن Noumène وسماها غيرهم عالم الفكرة الى غير تلك من الاسماء .

والحق ان الذين يطالبون بالمباشر ويريدون ان ينبذوا المجرد المتسامي لم يصيبوا في فهم طبيعة العمل الانساني والمجهود البشري : فلن يقوى هذا المجهود ابداً على ان يخلق شيئاً من العدم او ان يوجد ما يوجد بالطفرة بل لا بد له دائماً ان يطيل البحث والتنقيب بين الامكانيات العديدة ولا بد له ان يخلق ويوجد طرقاً وتحاريم ملتوية ولا بد له قبل ان يحط في ميدان للعمل ولصنع الآلات جديد

ان يرتفع عن ميدان العمل القديم خالقاً عوالم تجريدية تعبر عن رغبة الفكر في التوغل والارتفاع وتشعر بأنه في سبيل بحث وتنقيب جديدين ، ثم لا يلبث بعد قليل ان ينزل بهذه العوالم التجريدية ويشق لها طرقاً في الواقع العيني ، وهكذا يستمر في صعود وهبوط ما لم يجف ويصبه الجمود والتبلور .

والحق ان هذا الجمود والتبلور هو الآفة التي تهدد شرقنا الفكري، ومما يدعو الى الاشفاق ان يقتل هذا الجمود والتبلور الفكر الفلسفي الناشيء في شرقنا العربي وهو لا يزال في مهده بعد ان قتله في عصوره السابقة ايضاً .

لقد اخذ العرب الحضارة اليونانية كما اخذها الغرب ، ولكن ما لبث هذا الينبوع الذي استقى منه العرب ان جف ونضب معينه بينما غزر الينبوع الغربي واستمر . والسبب في ذلك بسيط ومعروف للجميع وهو ان العرب اخذوا الناحية المبلورة من الفكر اليوناني ونقلوا هذا الفكر وهو في أطواره الاخيرة حينما بلغ طور المدنية والانحلال واصبح بقايا ورواسب ليس فيها من الخصب الشيء الكثير . وهكذا تمنطق العرب واطالوا التمنطق وهكذا اغرقوا في التحليل والتجزيء واستسلموا للشرح والتأويل دون ان يتعدوه الا قليلاً ، وهكذا وقفوا عند المنهج الاسكلائي(١) يحملون الكلمات اكثر مما تحتمل من الشكول لا من المعاني ويقسرون الفكر على الامتداد عرضانياً بدلاً من الغوص والعمق بل بدلاً من التثني في منعطفات الابتكار .

اما الغرب فقد ظهر عنده اصحاب النزعة الانسانية أي أولئك الذين ارادوا ان يجعلوا من الادب اليوناني والفكر اليوناني منهلاً ثراً يعلون منه الروح قبل تثبتها وتركيزها ويلتقطون من مجراه الوثبة الحية والاندفاعة المبدعة التي انتجته، وبذلك كانوا يصعدون الى المبدأ قبل النتيجة وبذلك كانوا يتلمسون العاطفة المبدعة التي انتجت بحرارتها ما أنتجت قبل ان يحاولوا ان ينعموا بهذه العاطفة بعد ان اصبحت نتيجة وبعد ان تركزت وتحددت واصبحت محطاً لتأمل مرآوي لا لدفقة خالقة .

وعلى الشرق العربي الناشيء ان يتعظ اليوم بهذا الدرس التاريخي فلا يقع فيما وقع فيه في الماضي ولا يحاول ان يتبنى الفكر الغربي كنتائج ومسلمات عددية للاحصاء والتقويم بل عليه ان يحاول ان يتصل بتلك الوثبات التي اشاعت فيه الحياة وكونت بنيانه .

يريد الفكر العربي حتى الآن ان يحترم تلك التقاليد التي احتفظت بشيء من الرهبة والصوفية والتي يبدو من الطيش تجاوزها، واعني بها تلك التقاليد الفكرية التي تريد ان تؤمن بما يسمونه بالفكر الكارتيزي والتي يعز عليها ان تفارق ما اعتادت عليه من مبادئ تسميها بمبادئ الهوية والوضوح والبدهية والمنطق والمعقول وغير اولئك من الاسماء ، والتي لا ترى في خوافيها ما يساعد قوادمها على التحليق فوق ذاتها .

والذي نريد ان نقوله لهولاء ان هذه المخلفات فقدت اليوم حرارتها وضلت معناها ومحتواها وغدت قشوراً لا بقية فيها لعاصر وانها ان كانت قد خدمت الفكر البشري في اطواره الماضية فلا يعني هذا سرمديتها وقدرتها على الاخصاب المستمر .

ما قيمة العقل او الذوق السليم « الموزع بين الناس بالتساوي» ، كما يصفه ديكارت ، حينما يظل وسيلة للتفاهم والتعاضد دون ان يقوى على الارتفاع الى عوالم أعلى منه تصطرع فيها المتناقضات فتأتلف ويتجلى فيها نسيج الوجود كشيء حي متشابك العرى ؟ وهل يريد اتباع هذا العقل التقليدي ان يقرروا الملأ ان الغاية من وجودنا ان نتفاهم ونتفاهم فحسب على ظواهر الكون البسيطة وان نكون في حلف نتعاهد فيه ان نحترم المساواة العقلية فيما بيننا فلا يحلق احدنا خشية ان يزعج بتحليقه بقاءنا الهادئ ، وان حلق ففي عقال العقل والعقل بمعناه التنظيمي الهندسي لا بمعناه الابداعي ؟

لا ينكر احد منا العقل ولكن الذي يجب ان ينكره كل منا ان يفهم العقل على غير حقيقته أي ان يؤخذ كقوة ميتافيزيائية مطلقة لا تحول ولا تزول لها وجودها الذاتي ولها كيانها كما للجوزة القابعة في قشرتها كيانها على حد تعبير جيمس ، والذي يجب ان ندعو اليه ان يكون العقل قوة نفسية حركية لا تعبر عن وجود قائم بنفسه وانما تعبر عن محصلة القدرة الانسانية . وقد يجوز لهذه القدرة ان تسبر اللامحدود واللانهائي وقد يجوز لها ان تلجأ الى الاتصال المباشر بالاشياء وان تحاول فهم الاشياء عن طريق حياتها لها بدلا من ان تفهمها عن طريق تنظيمها الخارجي لمظاهرها وتقسيمها الفيزيائي لأدواتها .

نحن اليوم في حاجة الى آفاق اكثر منا الى زوايا ونحن اليوم في حاجة الى فكر خالق للاتجاهات اكثر منا الى فكر يريد ان يفرض الجلال والوقار . وان يلغي العقل ان نرتفع به الى تجارب ومعاينات

(١) كلمة معربة قديمة تصلح كترجمة لكلمة Scolastique

اعلى منه وانما الذي يلغي العقل ان تنحط بـه الى رواسب وحفريات .

لن تعود الى الفكر العربي فتوته بعد قرون من الصدأ الاعندما يقيض له من يشيع فيه فكرة النظر الى بعيد والامتداد الى المجهول وسبر اللانهائي ، اما الوقوف عند تحليل الفكر وتجزيء الفلسفة ولما ينبت الفكر والفلسفة بعد فهذا معناه ان نقتل وثبة الابداع في مهدها وان نعيش على التقليد كما عشنا في الماضي وان تجف عصارتنا وتنطفيء ذبالتنا عما قريب .

لا زلنا بعد في تلك المرحلة التي دفعت الكاتب الافرنسي جاك ريفيير Jacques Rivière عام ١٩١٩ ، مدير المجلة الافرنسية الجديدة ، الى اطلاق حكمه التالي : « ان الفكر الفرنسي هو الفكر الوحيد في العالم . اننا نحن الذين احتفظنا وحدنا بتقليد فكري واننا نحن الذين ثابرنا دون غيرنا على الايمان بمبدأ الهوية » . ولعل من الجميل ان نذكر الى جانب هـذا التصريح الرد الممتع الذي اجاب به الكاتب والمؤرخ الالماني ارنست كورتيوس Ernst Curtius اذ قال : « لقد ترك الفكر الالماني النظر باهتمام الى فرنسا العقلية ، وكيا يعود الى هذا فهو في حاجة الى ان تثبت له موجة جديدة من النور ، ان فرنسا لا تزال قادرة على ان تأتي الى العالم بجديد وانهـا تعرف ان تنتج اشياء غير تحليلات العواطف او رشاقة الاساوب وانها تقوى على ان تحطم الاطار الضيق الذي تتحبس فيه وانها عازمة على ان تقذف بكلمة من الحياة خلال الحوار الاوروبي » .

ثم ما لبثت تهم كورتيوس ان تبددت فأنتجت فرنسا افكاراً مبدعة وظهر عندها من لا يقل عن كيزيرلنغ Keyserling واشبنجلر Spengler وغيرهمـا ، وانتهت بأن تمخضت عن برغسون ذلك الفيلسوف الذي قلب المنظار الفرنسي بل العالمي رأساً على عقب والذي اشاع في العالم روحاً جديدة قوامها الاشعاع والمعاناة الحية للاشياء ومعولها يهدم قبل كل شيء تلك النظرات المجزأة وذلك المنهج الذي ينزع الى الاطر الجامدة والتمييزات القاطعة والقوالب العصية وذلك العقل الهندسي الذي خلق للتنظيم ولصنع الآلات لا لفهم حقائق الاشياء ، فنادى بالحدس والمعرفة المباشرة واستنصر الزمان على المكان أي الحياة على الموات .

وليس هنا مجال التحدث عن كل هذه التيارات الطاغية التي غزت الفكر الاوروبي في ايامه الاخيرة وامتدت حتى الى انكلترا فأنتجت مكتغارت Mctaggart فيلسوف القرن العشرين فيها .

انما الذي نريد ان نفيده من هذه التيارات هو أن على الشرق ان يغذي المحاولات التجريدية في ميدان الفكر وان يقبس من الثقافة الحديثة امكانياتها الفنية ومشيتها الالتوائية قبل ان يقبس منها نتائج ونهايات يجعل همه ان يصنفها ويقسمها . ان الذي نريد ان نفيده هو ان ننظر بعين الاكبار والاجلال الى امثال محاولات الدكتور عبد الرحمن بدوي التي تجلت في رسالته الاخيرة عن « الزمان الوجودي » والتي بلغت الذروة في علو الفكر على ذاته فذكرتنا بتلك المحاولات الخصبة التي قام بها جبابرة الفكر البشري في ابنيتهم التجريدية المتعالية والتي استقت منها الانسانية اسس حياة جديدة وامكانيات جديدة واستشرفت من خلالها على آفاق من المجهول محدثة .

واقل ما يقال في رسالة الدكتور بدوي هذه انها وثبة من وثبات الفكر الفلسفي لا عهد للشرق العربي بها ، ومهما قيل في تفصيلاتها وجزئياتها ومهما نسب الى بعض نقاطها من ضعف فلن يمنع هذا خصبها وغناها ولن يمنع هذا ان تكون مصدر اشعاع وباعث استثارة : وهل الفلسفة في غايتها العليا الا اثارة الحالات الفكرية واستيقاف الفكر المنساق في تيار الحياة عند بعض مشاكل هذه الحياة ؟

ولعل الدكتور طه حسين قد عبر عن هذه الحقيقة حينما استهل مناقشته للاستاذ عبد الرحمن بدوي بقوله : « اهنئك لانك اول شاب يفكر تفكيراً فلسفياً عميقاً حقـاً يذهب الى أبعد مدى من الاستقلال حتى يصل به الاستقلال الى ان يحاول هدم العقل كله »

وبعد لعل خير ما اختم به هذه الكلمة العابرة قول كيزيرلنغ الخالد في كتابه عن « العالم الناشيء » : « ان ممثل الفكر نفسه في هذا العالم النحاسي الناشيء لن يقوى على ان يكتسب بعض القيمة الا كمحارب » . نعم عليه ان يكون محارباً لكثير من بقـايا الماضي وعليه ان يكون محارباً في الميادين الجديدة والمجاهل الفكرية التي عليه ان يفتحها ويجوس خلالها . عليه ان يفسح المجـال لمبادىء ومفاهيم فكرية تستطيع ان تتمشى مع دينامـيكية العصر الحديث وتستطيع ان تلتقي مع تلك المفاهيم التي تقذف بها في كل يوم مخابر الفيزياء والكيمياء وغيرها والتي تتصف قبل كل شيء بالحركة وتشعر باللامحدود واللامتعين .

القاهرة

عبد الله عبد الدائم

في عالم اللغة

المحـــراب

بحث ثنائي السني

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي

احد اساتذة المعهد الكتابي والاثاري في القدس

ايها الاديب العربي ، لا منفسح لك ، في مزاولة فنونك ، من الرجوع الى كتب اللغة ؛ لا بل انك تنظر في الالفاظ نظر الناقد الجهبذ ؛ وبالهام من ذوقك السليم تتمكن من تمييز بعضها من بعض ، من حيث الفصاحة والبلاغة ؛ فتختار منها ما تستحسنه ، وتنبذ ما تستقبحه ، وفقاً لملاءمته خواطرك والمواضيع التي تطرق ابوابها .

وانت يا حضرة الشيخ اللغوي ، انت لا تكتفي بما يجتزىء به الاديب ؛ بل تعنى بالمفردات من حيث الاصول والاشتقاق والتطور . ثم انك ادرى من غيرك — اذ صاحب الدار أدرى بما فيه — بحالة واقعية ظاهرة للعيان ؛ الا وهي حالة المعجمية السيئة ، حالة التضارب والتنافر والتضاد ، اي الحالة اللامنطقية في معاني الالفاظ . وقد رضي بهذه الحالة المعجميون الاقدمون ، وما يزال يقبلها المحدثون ، المقلدون المحافظون . فآل بهم الحال الى اعتدادها شيئاً طبيعياً لا ينفر منه ، ولا يحتج على وجوده ، ان لم نقل انهم يرونها من باب الكمال . ذلك لعجزهم ، او لعدم محاولتهم ازالة هذا العيب ، او سدّ هذا الخلل . الا ان ذلك لا يجعل الشوائب محاسن ، ولا يمحي المعـايب الملازمة غالب الكلمات وهي على حالتهـا الحاضرة .

فالاصلاح اذاً محتوم ، متى توفرت له الوسائل . وعلى كل ابن برّ بلغته العربية الكريمة السعي في ذا السبيل . حسب مواهبه ومقدرته ومعارفه وتخصصه . لذا أدع الاديب يبدع في فنونه ؛ لانه ربما خانه الصبر والجلد في التقصيات اللغوية والالسنية ، وادعوك ايها اللغوي المتفرغ لدرس المفردات والغور في اعماق اصولها ، لتسير بصحبتي في طرقات المعجمية العربية والسامية ، فترى — كما رأيت من بحوثي السابقة ، ان اطلعت عليها — ان هناك وسيلة فعالة للقضاء على التضارب والتنافر في المعنوية العربية ، حين نعمد الى البحث فيها على نور الثنائية والالسنية السامية . ولنأخذ موضوعاً للاستقصاء كلمة « محراب » . فهي في حالتهـا الثلاثية صادرة من فعل « حرب » . ولنبدأ ، حسب مألوف عادتنا ، سرد أهم مدلولاتها اولاً في العربية ، ثم في اخواتها السامية . وعقيب ذلك نحاول تنسيقها تنسيقاً منطقياً ، استناداً الى الارومة الثنائية والمقابلة الالسنية .

العربية :

حرَب الرجلَ : سلبه ماله وتركه بلا شيء ، و — اشتد غضبه ، و — كلب . حرّب السنان : حدده ، و — اطعم النخل الحرب ، و — هيج ، اغضب . احرَبَ الحرب : هيجها ، و — النخل : اذا طلع . استحرب : صار كالحَرِب ، اي كالاسد . الحرَب : الشديد الغضب . الحرب : الطلع . الحربة الالة دون الرمح ، والحربة : فساد الدين ، لانه يُسلَب . والمحروب : من حُرب دينه ، اي سلب . والحربة : الجمعة ، لانها زمان محاربة النفس . المحرب والمحراب : الشجاع الشديد في الحرب . الحرباء : دويبة تتقبل الشمس ، كأنها تحاربها . الحارب (في الحديث) : المشلح اي الغاصب الناهب الذي يعرّي الناس ثيابهم . سنان محرّب : محدد مؤلل .

المحراب (قرآن) « وهل اتاك نبـأ الخصم اذ تسوروا المحراب ؟ » : مقام الامام من المسجد ، و — ارفع مكان في المسجد ، و — الغرفة ، و — الموضع العالي ، و — صدر البيت ، و — الموضع الذي ينفرد الملك به فيتباعد عن الناس ، و — الاجمة وهي مأوى الاسد ، و — مجلس الناس ومجتمعهم ، محاريب بني اسرائيل : التي كانوا يجلسون فيها كانه للمشورة في امر الحرب ، قال ابن الانباري : سمي محراب المسجد ، لانفراد الامام فيه وبعده من القوم . ومنه يقال ، فلان حرب لفلان : اذا كان بينهما بعد

وتباغض . وفي المصباح : يقال المحراب مأخوذ من المحاربة ، لان المصلي يحارب الشيطان ونفسه باحضار قلبه .

خرب : ثقب ، وسرق ، وخرب : صار لصاً ، و — صار خراباً . الخُرب : ثقب الابرة . الخربة : كل ثقب مستدير ، و — خرق الاذن ، و — عروة المزادة ، تخاريب : خروف كبيوت الزنابير .

السريانية :

Hrab, harba (ح) نشف ،يبس ،جفّ ،خرب ، انهدم ، تلف ، اقفر .

Hrab, hurba : حرّب ، خرب .

Ahrêb : خرّب ، هدم ، اقفر ، قتل ، افنى .

Hrabtâ : خربة ، قفر ،

Harbâ : حرب ، قتال ، سيف ، سنان ، سكة الفدان .

العبرية :

Hârab (خ) يبس، جف، خرب، كان قفراً، خلا من السكان هجم، حارب .

Hôrêb : يبوسة، حرارة . Hârbâ : خربة ، قفر .

Hèrêb : سيف ، جوبة .

الاكدية :

Harâbu : اقفر، كان خراباً .

Huribtu : خراب، برّية، قفر .

الاصل الثنائي

العربية :

حرّ : كان سخيناً ،ومن الحرّ العطش وهو يبوسة الحلق

خرّ الماء :جرى بشدة ، خرّ : هوى ، خرّ الماء الارض : شقها ، وسقط ، مرّ .

والماء : صوّت ،والحجر : صوّت في انحداره . انخرّ : استرخى .

العبرية :

Hôr (خ) حرّ ، و Hôr : خرب، خرق، ثقب .

السريانية :

Har : كان حاراً، يبس ، احترق، بح الصوت ، حفر ، ثقب نقب .

Hârâ : حر (شوب) ، Hùrtâ : حفرة ، خرق ، بحة وخشونة الصوت .

Hrûra : ثقب ، سم الابرة ،صماخ الاذن ، كهف .

الحبشية :

Harawa : خار، خوم، خرب، خرّت .

تنسيق وتعليل

١) مما يجدر بالملاحظة ان الخاء والحاء تتعاقبان ليس في داخل العربية وحسب ، بل بين العربية وغيرها من الساميات . ففي العربية الحاء والخاء منفصلتان ، وفي العبرية ، يلفظ اليهود الاوروبيون خاء فقط ، واليهود الشرقيون ، حاء لا غير ، وفي السريانية لا يوجد الاّ الحاء وحدها ، وفي الحبشية ، حاء وخاء كما في العربية ، اما في الاكدية فقد بقيت الخاء وزالت الحاء فقام مقامها الهمزة .

٢) الاصل الثنائي لكل هذه المدلولات في شتى اللغات السامية هو «حَرْ وخَرْ» ومن جملة خواص الحرارة خاصتان : الاولى خاصية توليد اليبوسة والجفاف ، لسبب تبخيرها الماء . فلذا ورد في السريانية Har ، وفي العبرية Hôr وفي العربية حرّ : صار حاراً اي سخيناً . ومن الحرارة الاحتراق . وبحة الصوت ، ثم : يبس . ومن اليبوسة : القفر والخراب .

٣) الخاصية الثانية للحرارة الحركة النزول او الهبوط بدرجات مختلفة . وعليه جاء في العربية خرّ ، وفي السريانية Har ، وفي العبرية Hôr ، وفي الحبشية Hawara بمعنى : حفر ، نقب ، شق ، هوى ، جرى ، . ومن الهبوط او الانحدار ينشأ الصوت ، لعله اصطدام الجسم بغيره من الاجسام .

٤) بزيادة الباء تذييلاً على الثنائي «حَرْ او خَرْ» صدر حرب وخرب ، في مختلف هذه الالسنة . وبتطور المبنى تطور المعنى . فورد في العربية خرب بمدلول نزل بالخَرْق . ومنه الخُرْب : ثقب الابرة ، والخربة : خرق الاذن ، وعروة المزادة . وبقوة الحرارة تتولد اليبوسة . لانه بفعل تبخر مياه الامطار تندر العيون والانهار ، وحيث لا مياه ، لا عشب ولا اشجار ، وما ذلك سوى اليبس والقفر والخراب . فجاء في السريانية hrab يبس ، خرب ، انهدم ، اقفر ، وفي العبرية hârab : جف ، خرب ، اقفر ، خلا من السكان ، وفي العربية خرب : صار خرابا . وفي الاكدية : harâbu : اقفر ، كان خراباً .

٥) من الخراب عموما صدر معنى التخريب والاتلاف خصوصاً ، اي الحرب ، ومنه فعل حرب : سلب اي اتلف المال لصاحبه ،

والهجوم على الغير لاتلاف بدنه ، او نزع حياته . ومن ذلك في العربية حارب، وفي السريانية hrab : قتل، افنى . و harba: حرب، قتال ، سيف سنان . وفي العبرية hârab : هجم، حارب، و hèrèb : حربة ، سيف ، اي آلة الحرب ، والقتل .

٦) من الحرارة المادية ينتقل المعنى الى الحرارة المعنوية ، وهي الشجاعة والتهيج ، والغضب ، والكلب . فنجد في العربية محرباً ومحراباً : الشجاع والشديد في الحرب ، وحرب اشتد غضبه ، واحرب الحرب : هيجها ، واحرب النخل ، اذا هاج وطلع . استحرب : صار كالحرب ، اي الاسد لشدته وهيجانه : وحرب: كلب .

وانت تتحقق انه بالثنائية والالسنية السامية يتجلى تناسق وتسلسل هذه المعاني ، باسلوب منطقي ، وان كان التنافر ظاهراً كل الظهور في حالتها الثلاثية .

ولمعترض ان يقول : « والمحراب ! اي علاقة له بكل هذا ؟ اجل ان محرباً او محراباً ، بمعنى الشجاع والشديد في الحرب، يسوغ نظمه في سلك الفحاوي السابقة . لكن شتان بين هذه المدلولات ومدلولات محراب الاخر . اذ اي لحمة معنوية بين الغرفة والحرب ، وبين الموضع العالي واليبوسة والقفر ، وبين مقام الامام في المسجد والحَرق والثقب، وبين مجتمع الناس والسيف والحربة ؟ » ان الحق يضطرنا الى الاقرار بصوابية الاعتراض . لان اللامنطقية بارزة كل البروز بين هذه العبارات . بيد ان كلمة « محراب » والحق يقال ، ليست من باب حرب او خرب . انما اهل المعاجم ادرجوها في هذه المادة، استناداً الى ترتيب الحروف . ودون مراعاة لما يطلبه التناسق المعنوي . وفي هذا الظرف، كما في عشرات بل مئات من الظروف، قد نشأ من عملهم الاختلال في المعجمية ، فتشوه وجهها بالمعايب المقيتة .

على ان الثنائية والالسنية الساميّة تخرجاننا من هذا المأزق ، وتكشفان المنطقية التامة الكامنة في المعجمية تحت حجاب هذا الاضطراب الناشئة عنه هذه الشوائب ، ولبلوغ هذه الغاية يكفي تغيير حرف واحد ليس الا ، اي ابدال الباء بميم ، فيحصل لدينا « محرام » « عوض » محراب »

طبقاً لنظريتنا الثنائية ، محرام مشتق من « حرم » الوارد في مختلف اللغات السامية ، والدال على المنع والصد والقطع . ففي العربية حرم : قطع ، منع، وفي السريانية hrèm : حرم ،منع وفي العبرية hâram : حرم، وقف، قدس، وفي الحبشية harama : منع ، ابعد ، وفي الاكدية êremu (الاصل بالحاء اي حرمو) منع ، و irmu (حرمو) : حمى ، ملجأ و arnu أو armu (حَرْمو) : حرام ، خطيئة . والثلاثي « حرم » ناجم عن الثنائي « حم » في « حمى » : منع ، دفع . وفي العربية يطلق « الحمى » على كل ارض او بيت ، او حصن يُحمى اي يمنع دخوله او التصرف به . ولنا شاهد على ذلك في التأريخ العربي الجاهلي « فقد روي عن كليب بن وائل انه كان ملكاً بغى على شعبه حتى بلغ منه بغيه انه اذا مطرت سحابة في ارض حمى مكانها لينبت العشب ، فلا ترعى ابل في حماه . ويجعل وحش موضع في جواره ، فلا يجرؤ احد ان يهيجه أو يصيده . واذا اوقد ناراً، فلا توقد نار معها ، واذا رعت ابله ، لا ترعى معها الا ابل جساس بن مرة من بني شيبان بن بكر ، لما بينهما من المصاهرة والمخالطة . »

وفي الثنائي « حَمْ » اقحمت الرآء ، فصدر « حرم » ومنه جاء كلمة « الحَرَم » او « الحَرام » بمعنى الحمى الديني ، الذي لا يُحل انتهاكه ، لقداسته . من ذلك البيت الحرام ، المسجد يحج اليه ، وهو الكعبة ، والبلد الحرام : مكة . والحرم الاقصى : بيت المقدس . والحرم الخليلي : حبرون . ويطلق على كل مسجد ، او مزار ، او محل مقدس . لان مثل هذه الامكنة محظور اتيان المنكر فيها ، لا بل كل عمل غريب عن الدين والعبادة .

فاذا تقرر هذا ، بقي هناك مشكل وهو ان لفظة « محرام »، على وزن مفعال، لا وجود لها في العربية القرشية . لكنها واردة، وزناً ومعنى ، في اللغة الحبشية ، اذ كلمة « محرام » تدل فيها على المعبد والهيكل . مما يحمل على القول بان « محرام » ليست عربية، بل حبشية جعزية . ومعلوم ان الاحباش قوم اصلهم من اليمن هاجروا منه ، عابرين البحر الاحمر ، الى الاصقاع الافريقية ، عدة قرون قبل التاريخ الميلادي . فلغتهم سامية شبيهة بالعربية الجنوبية، اي السبئية او الحميرية . والحال اننا نجد في هذا اللسان ذاته كلمة « محرم » (م ح ر م) بعين دلالة ، « محرام » الحبشية . اعني دلالة المعبد والهيكل . على ان « محرام » هذه اكيدة القراءة كما هي ثابتة المعنى في اللغة الجعزية المذكورة . وذلك لكمال الجديتها التي فيها الحروف الصائتة كما فيها الحروف الصامتة اي فيها الحركات. لا بل هناك ما هو افضل اعني ان كل حرف صامت ملتصقة به حركته بما نشأ عنه ضرب من الابجدية المقطعية . وهذا ما لاوجود له في بقية اللغات السامية، الا الاكدية التي كتابتها المسمارية مقطعية . اما الكتابة السبئية او الحميرية فقد بقيت على حالة الابجدية الفينيقية،

اي خلوا من كل حرف صائت او حركة ، طويلة او قصيرة . لذا من العسر بعض العسر قراءتها ، الا من باب التخمين او بالمقايسة باللغات اخواتها ، مما لا يزيل كل شك ، ولا يثبت الصحة . من ذلك كلمة محرم او (م ح ر م) . اننا نعرف معناها . وهو مضاه لمدلول « محرام » الحبشية ، وهي مبتدئة بالميم مثلهـا ، لكن لا يمكن الجزم بانها على وزن مفعال . لعدم وجود حركة على الراء . على انه من السائغ القول بانها عين اللفظة الحبشية ، ويمكن قراءتها بالمد او القصر ، كما يقال زمن او زمان .

استناداً الى هذا ، المرجح عندنا ان المفردة قديمة وهي سبئية حميرية ، اي عربية جنوبية . وقد ولجت الحبشية ، أو انها كانت في كلا اللسانين . وقد انتقلت الى العربية الشمالية ، اي اللغة القرانية الفصحى مبدلة ميمها الاخيرة بباء . مما ليس بالامر الغريب . فان الميم والباء - وهي من مخرج واحد - كثيراً ما تتعاقبان . والا مثلة على ذلك وافرة ، منها احزاب واحزام ، لازم ولازب ، طهار وطبار ، غيهب وغيهم ، زكب وزكم ، اربد وارمد ، السباسب والسماسم .

صفوة المقال : « حَرَب وخرب » الثلاثيان مشتقان من « حَرْ وخَرْ » الثنائيين . وفيهما معنى الحرارة المتصفة بالتجفيف والحركة .

فتولد من ذلك دلالات اليبوسة والخراب والقفر ، والاتلاف والحرب ، ثم الشدة والتهيج والغضب ، ثم الحفر والانحدار والجريان والهبوط . أما كلمة « محراب » فقصية فحاويها عن هذه المادة ، لانها ليست منها ، الا من باب العرض ، وقد ادرجت فيها بسبب نهج اهل المعاجم . فهي في الاصل العريق « مِحْرَام » السبئية - الحميرية - الحبشية ، الدالة على المعبد والهيكل ، اعني الحمى الديني والمحل المقدس . وقد ابدلت الميم الاخيرة بباء في عربيتنا الفصحى . ثم نشأت في هذه العربية الشمالية بقية المدلولات ، كالمحل المرتفع من المسجد ، ومقصورة الملك ، والغرفة ، وصدر المجلس وما اشبه . وبذلك يظهر ضعف تعبير المفسرين القائلين بان اصل « محراب » مأخوذ من المحاربة « لان المصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه باحضاره قلبه !! »

فما قولك ايها اللغوي اللوذعي الجليل، بعد هذه الجولة بصحبتي في انحاء المعجمية العربية ، على ضوء الثنائية والالسنية السامية . الأمل انك تسلم بصحة هذا الاسلوب في البحث ، وترى فيه فائدة جلى في سبيل لغتنا العربية القومية والسلام .

الفرس · الاب مرمرجي الدومنكي

مباراة ابي العلاء

☆

تقيم « الاديب » مباراة تقدم فيها مئتي (٢٠٠) ليرة لبنانية جائزة لأحسن بحث جديد عن ابي العلاء المعري . وقد قدم هذه الجائزة الوجيه نقولا بك ابراهيم سرسق .

١ - الاشتراك في المباراة مباح للجميع .

٢ - يجوز للمشترك ان يتنـاول في بحثه أي جانب شاء من جوانب ابي العلاء المعري على ان ترى لجنة المباراة فيه طرافة وابتكاراً .

٣ - يجب ان لا يقل البحث عن ثلاث صفحات من الاديب ، وان لا يكون قد نشر قبل الآن .

٤ - تنتهي مدة قبول الابحاث في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ وتعلن النتائج في جزء تشرين الاول من الاديب

٥ - تحكم بين المتبارين لجنة تختارها الاديب وتعلن اسماء اعضائها مع اعلان النتيجة .

٦ - للاديب ان تختار من ابحاث المباراة مـا تشاء للنشر على صفحاتها بعد اعلان نتيجة المباراة .

٧ - ترسل الابحاث الى « الاديب » ضمن ظرف يكتب عليه « مباراة ابي العلاء » . ويذيل البحث بتوقيع مستعار ويوضع الاسم المستعار والاسم الحقيقي ضمن ظرف صغير مرفق بالبحث

مشاهـــــد من حياة المرأة

في الشعر العربي القديم

بقلم كمال اليازجي

المدرس في جامعة بيروت الاميركية

◆

كلمة في الشعر النسائي

قلة العناية به : في فهارس المؤلفين ومعاجم الكتب عدد عظيم من اسماء الشعراء، ودواوين الشعر، الا ان الكثرة المطلقة منها تتصل بادب الرجال دون النساء . ونحن لا نرتاب في ان الامة العربية — منذ القديم — قد انجبت، من الشواعر وربات الادب، عدداً لا يستهان به . لكن مؤرخي الادب لم يبروا بهن، بل صرفوا عنايتهم الى المبرزين من الشعراء، فجمعوا كل شاردة وواردة من اخبارهم ونفثاتهم الشعرية . ولم يعرضوا لخوالج الجنس الرقيق الا بحكم الصدفة والاتفاق . وعليه فكل ما بين يدينا اليوم من شعر النساء : قصائد متفرقات، وابيات منتثرات، في امهات الكتب العربية . لا يوصل اليها الا بالجهد المضني والتقصي البعيد .

ولقد حاول السيد بشير يموت، في العصر الحاضر، ان يسد هذه الثلمة بكتاب شاعرات العرب لكن عمله — على ماله من قيمة — ليس الا خطوة اولى عسى ان تتبعها خطوات اجرأ واوسع وادق . فالواجب العلمي يحتم علي — والحالة هذه — ان اذكر باخلاص وصراحة ان الصور التي اخترتها لتمثل حياة المرأة في الشعر العربي القديم لا تتصف بالاستقصاء والشمول، لان الاصول لم تتوفر لدي، ولان المجال الحالي لا يتسع للاطالة والاسهاب .

مجمل اغراضه وخصائصه : ليس من غير المتوقع ان يختلف شعر النساء عن شعر الرجال من حيث الاغراض الرئيسية والخصائص البارزة . ذلك لان مرتع النساء لا يماثل ميدان الرجال . ولان انفعالهن ربما اختلف عن تأثرهم نوعاً ومقداراً . فقد خاض الرجال غمار الحروب، واعملوا الاسنة والسيوف، وجروا في ميادين السياسة، فجعلوا من هذه الشؤون الجدية وامثالها منصرفاً لشاعريتهم . ثم انهم استغلوا الظروف، فاستثمروا الشعر، واتخذوه وسيلة ناجعة لجمع الثروة، وبلوغ المرامي والاهداف. فدعاهم ذلك الى العناية بوصف الحروب، واستعراض الاحداث، وتوخي المدح والهجاء. ومن لم يتجه منهم هذا الاتجاه عاش — في الاغلب — خامل الذكر، ومات مجهول الفضل، وطوي منقوص الحق.

وربما صح تعليل خمول الشعر النسائي على هذا الاساس عينه : فالمرأة الشاعرة لم تتحول — في اغراضها الشعرية — عن مثار احساسها وثورة وجدانها . ولذلك لم يحتفل بها كثيراً ولم يحفظ من ادبها الا النزر اليسير . فاشهر اغراضها : الغزل والرثاء والحماسة ؛ وابرز ما انطوت عليه هذه الاغراض : لوعة الحب، وحرقة الحزن، والم الذكرى، وثورة الحنق؛ وكلها اهداف وجدانية . ولما كانت طبيعة المرأة — بوجه الاجمال — ارهف احساساً، وابعد انفعالاً، اتصف شعرها — في مبناه : بسلاسة العبارة، وسهولة الاسلوب، ووضوح التعبير، :

وتميز – في معنـاه : بصدق اللهجة ، وبروز العاطفة ، وسذاجة الفكرة ؛ وكان في مبناه ومعناه قليل التنميق ضعيف المجاز . وهو في ذلك شبيه بآثار ارباب الوجدان من الشعراء الرجال .

١ – رذيلة المهد

سوء الاستقبال : نحن في مجتمع من الناس جله من النساء ، الوجوه عابسة ، والجباه مقطبة ، والصمت عميق ، والسكون رهيب – ما الداهية التي دهت ، ما الكارثة التي حلت ؟ هل زلزلت الارض الوقور ، ام دكت الجبال الراسية ؟ هل اطبقت السماء على الارض ، ام طغت المياه على اليابسة ؟ كلا ! بل الذي حصل اشد هولاً من ذلك كله !! . . . ولدت بنت !! . . .

بمثل هذا الوجوم تستقبل تلك المخلوقة اللطيفة ! كذلك كان شأن القدماء ، وكذلك لا يزال عند الكثيرين حتى اليوم ! ولئن كانت رسالة محمد قديماً لم تبدل – عملياً – من هذا الوضع الغريب شيئاً ، فهل ينجع فيه ارشاد الواعظين ونصح الحكماء !! رزق ابو حمزة بنتا ، فتميز حنقاً واستشاط غضباً ، وهجر امرأته وأوى الى بيت جاره . فتألمت زوجته لذلك وقالت معاتبة :

ما لابي حمزة لا يأتينا   يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ان لم نلد البنينا   تـالله مـا ذلك في ايدينـا
وانمـا نأخذ ما اعطينا

بالله عليك يا ابا حمزة! ما ذنب هذه الطفلة فتقابلها بهذا التجهم؟ وما الاثم الذي اجترحته الام فتهجرها وهي في اشد الحاجة الى حنوك وتشجيعك ؟ قاتل الله « اباء حمزة » ما اقسى قلوبهم ، وما اغلظ طباعهم !!

جريمة الاثرة : على ان هذا الانفعال الشاذ لم يكن محصوراً – عند بعض الجاهليين – في الصدمة الاولى ، بل رافقهم برهة من الزمان راودهم الشيطان في اثنائها عن فلذات اكبادهم فواطأوه عليهن . زين لهم الوأد فأئتمروا بامره ! وانتحلوا لذلك اعذاراً ليس بينها ما يبرر الفعلة الشنعاء . وهوذا المعري ، الفيلسوف الحانق على المرأة ، يحرم الوأد ، ويرمي الوائـد بالظلم والعدوان في حين انه يطوب المؤودة . ويغبطها على ما ظفرت به من راحة سرمدية ؛ قال :

طوبى لموءودة في حال مولدها   ظلماً ، فليت اباها الفظ موءودا

وقال ايضاً :

لا تولدوا ، واذا ابي طبع، فلا   تلدوا، وأكرم بالتراب مصاهرا

وقال اسحق بن خلف معتذرا عن وأد ابنته ، مدعياً انه انما اقدم على ذلك صوناً لها ، وابقاء على كرامتها :

لولا اميمة لم اجزع من العدم   ولم اقاس الدجى في حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي   ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
احاذر الفقر يوماً ان يلمّ بها   فيهتك الستر عن لحم على وضمِ
تهوى حياتي واهوى موتها شفقاً   والموت اكرم نزالٍ على الحرم

فقد خشي على ابنته الم الجوع ، وذل اليتم ، ووصمة العار ، وآثران يريحها بالوأد ويستريح ! فهل سمعت باوقح من هذا العذر !!

٢ – عروس الشعر

تاج القصيد : ان الحجر الذي رفضه البناؤون صار رأس الزاوية – فالطفلة التي اكفهرت لمولدها الوجوه ، ووجمت لمقدمها القلوب ، ما ان استوت قامتها ، ونضر عودها ، وسرى السحر في اعضائها ، وشاعت الفتنة في قسماتها ، حتى علقت بها الانظار ، وانبسطت لها الاسارير ، وهفت اليها القلوب . كانت مرذولة فصارت تاجاً للقصيد ، وكانت منبوذة فحلت في محراب الشعر . وهوذا الشعر القديم لا تكاد تخلو فيه قصيدة رائعة من استهلال غزلي . والذي يثبت ان هذا التقليد العرفي كان عملاً متعمداً واعياً قول امرىء القيس – زعيم هذه الطريقة – يعاتب رجلاً هدده بالقتل لانه شبب بزوجته :

ايقتلني والمشرفي مضاجعي   ومسنونة زرق كانياب اغوالِ
وقد علمت سلمى وان كان بعلها   بان الفتى يهذي وليس بفعّالِ
وماذا عليه لو ذكرت اوانساً   كغزلان رحلٍ في محاريب اقوالي

فظاهر من قول امرىء القيس ان استهلال القصيد بالغزل اراد به من جهة اكرام المحبوبة ، ومن جهة ثانية الرفع من شأن القصيد . وهكذا غدا الحجر المنبوذ رأساً للزاوية .

معالم الحسن : النفور يغدو جاذبية ، والعتو يصبح استسلاماً ! ما السر في ذلك؟ لن نبحث هنا في فلسفة هذا التحول بل سنكتفي بعرض الاوصاف النسائية التي اعتبروها مقياساً للجمال ، وعاملاً هاماً من عوامل السحر الجنسي . فالذي يكثر من قراءة الشعر القديم يبدو له ان معالم الحسن عندهم : الشعر الاسود ، والجبين المشرق ، والعين النجلاء ، والحاجب الازج ، والوجه المستدير ، والانف المستقيم ، والفم الصغير ، والجيد الاتلع ، والصدر العامر ، والذراع العبلاء ، والخصر النحيل ، والردف الثقيل ، والساق الريانة . وقد شبهوا – جريا مع هذه المقاييس – الشعر بالليل ، والوجه بالبدر ، والحاجب بالسيف ، والعين بالنرجس ، والخد بالورد ، والاسنان بالاقحوان ، والجيد بعنق الغزال ، والقامة بقضيب الخيزران ، والردف بكثيب الرمل . ونظراً لشهرة هذه الاوصاف اكتفي

بمثال واحد اخترته من يتيمة الشاعر المجهول . قال :

ويزين فوديها اذا حسرت ... ضافي الغدائر فاحم جعد
فالوجه مثل الصبح مبيض ... والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا ... والضد يظهر حسنه الضد
وجبينها صلت وحاجبها ... شخت المخطّ ازجّ ممتد
وكأنها وسنى اذا نظرت ... او مدنف لما يفق بعد
بفتور عين ما بها رمد ... وبها تداوى الاعين الرمد
وتريك عرنيناً به شمم ... اقنى وخداً لونه ورد
والجيد منها جيد جوءذرة ... تعطو اذا ما طاله المردُ
والمعصمان فما يرى لهما ... من نعمة وبضاضة زند
ولها بنان لو اردت له ... عقداً بكفك امكن العقد
ما شانها طول ولا قصر ... فقيامها وقعودها قصد

ومن اراد المزيد من هذه الاوصاف فليعد الى قصيدة ابن الرومي الموسومة بدار البطيخ .

هذا هو تمثال المرأة الحسناء بمقياس الذوق القديم . على ان المرأة – حتى في تلك العصور المتراخية في القدم – لم تقنع بالحسن الموهوب بل تفننت ، ما استطاعت، في اساليب التجمل : من تطريز للخد ، وتكحيل للعين ، وتزجيج للحاجب ... بالاضافة الى ما استخدمته من اصناف الطيوب وانواع المساحيق، وضروب الاصباغ والالوان . على ان كثيرين من الشعراء – على ما يبدو – كانوا يؤثرون الحسن الطبيعي على المجلوب ، منهم المتنبي حيث قال :

ما اوجه الحضر المستحسنات به ... كاوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب
اين المعيز من الآرام ، ناظرة ... وغير ناظرة ، في الحسن والطيب
افدي ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ومن هوى كل من ليست مموهة ... تركت لون مشيبي غير مخضوب

ومثل ذلك قول شوقي بلسان ليلى العامرية محبوبة المجنون :

ونحن الرياحين ملء الفضاء ... وهن الرياحين في الآنية
ويقتلنا العشق والحاضرات ... يقمن من العشق في عافية
ولم نصطدم بهموم الحياة ... ولم ندر ، لولا الهوى ، ما هيه

هكذا تبدو لنا المرأة الجميلة في الشعر القديم .

معالم الشخصية : تتصف المرأة العربية المثالية بالعفة والانفة والحياء والاخلاص والاستقامة وعزة النفس ولين العريكه والتفاني في الخدمة . على ان سياق الموضوع يقتضينا ان نرسم شخصيتها كما صورها الشاعر لا كما وصفها المؤرخ . والشاعر اكثر ما تحسسها باشواقه وآلامه ، واجود ما عرفها في مواقف الحب . او لعله كان اشد تأثراً بتلك الطبقة من النساء التي كانت اوثق صلة بحياته العاطفية . فصورها لنا : شديدة العتو ، عظيمة اللجاجة ، كثيرة التقلب ، سريعة الملل ، بالغة الغيرة ، عظيمة الكيد ، ضعيفة العقل ، ثائرة العاطفة . وهي – بوجه الاجمال – دون الرجل مقاماً ، لكنها اذا تحلت بالفضائل المثالية قدمت عليه . قال المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة :

حصان مثل ماء المزن فيه ... كتوم السر صادقة المقال
ولو كان النساء كمن فقدنا ... لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال

والبيت الاخير ، وان كان يستهدف الدفاع عن المرأة ، الا انه يشعر ضمناً بانحطاط مقامها – في الرأي السائد – عن مقام الرجال . ولعل السبب في هذا النظر الى المرأة اعتقادهم بانها اضعف من الرجل عقلاً ، واقل منه ادراكاً . ففي الشعر اشارات عرضية كثيرة الى ذلك منها قول حسان بن ثابت الانصاري يهجو بني سليم :

لقد غضبت جهلاً سليم سفاهة ... وطاشت باحلام كثير عثورها
لها عقل نسوان وشر شريعة ... تزور نداها حين تبغي بحورها

وقول المتنبي يرثي اخت سيف الدولة :

وان تكن خلقت انثى لقد خلقت ... كريمة غير انثى العقل والحسب

ويرى المعري ان الرجل المسوق بعاطفته انما هو في درك النساء ، وان النساء والعجماوات في درك واحد ، قال :

ان الرجال اذا لم يحمها رشدٌ ... مثل النساء عراها الخلف والخلف
الا ترى جمع ما لاعقل يسنده ... جمع المؤنث فيه التاء والالف .

ولن نبادر الى الدفاع عن المرأة هنا، لا لاننا لا نؤمن بجدارتها الوافية وكفاءتها الواسعة، بل لاننا نؤثر ان يكون ذلك على لسانها ولسان اخصامها . فان الذين وصموها بضعف الادراك قد ذلوا لها صاغرين ، وسألوها الرحمة والشفقة ، ورجوها العطف والحنان . قال ابن الرومي :

ومن عجائب ما يمنى الرجال به ... مستضعفات له منهن اقران
من كل قاتلة قتلى وآسرة ... اسرى ، وليس لها في الارض اثخان
يولين ما فيه اغرام ، وآونة ... يولين ما فيه للمشغوف سلوان

فاذا كان هذا شأن قوي العقل مع ضعيفه فما هو الا بغاث قد استنسر ! واذا ابيت الا ان يكون البرهان مما انتجته المرأة في الشعر فدونك هذه السوائر من حكم جمعة بنت الخس :

اشد وجوه القول عند ذوى الحجا ... مقالة ذي لب يقول فيوجز
وافضل غنم يستفاد ويبتغي ... ذخيرة عقل يحتويها ويحرز
وخير خلال المرء صدق لسانه ... وللصدق فضل يستبين ويبرز
وانجازك الموعود من سبب الفتى ... فكن موفياً بالوعد تعطي وتنجز
ولا خير في حر يريك بشاشة ... ويطعن في خلق عليك ويلمز

ولها في غرور الدنيا وقيمة الحياة :

رأيت بني الدنيا كاحلام نائم ... وكالفيء يدنو ظله ثم يقلص
وكل مقيم في الحياة وعيشها ... فلا شك يوماً انه سوف يشخص

على ان الدليل الاقطع يجب ان يلتمس في الادوار الرائعة التي مثلتها على مسرح السياسة والعلم والادب .

ومما وصفت به المرأة ايضاً الانقيـاد الى العاطفة ، وسرعة التقلب ، وغرابة الاطوار . اذ هي شديدة الرغبة في ما لم تصل اليه، سريعة الملل مما هو في متناول يدها بصرف النظر عن تفاهة الاول ونفاسة الثاني . قال المتنبي :

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها ... فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشد صبابة ... وان فركت فاذهب فما فركها قصد
وان حقدت لم يبق في قلبها رضىً ... وان رضيت لم يبقَ في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما ... يضل بها الهادي ويخفى بها الرشدُ

وهي تجري بطبيعتها المتقلبة على قاعدة « خالف تعرف » . فتصبو الى المفقود ، وتأنف من المعروض ، فان سألتها امسكت ، وان امسكتَ عنها الحت في الطلب ، فكأنها لا تدري ماتحب وما تكره . قال جرير بهذا المعنى :

واذا التمست نوالها بخلت به ... واذا عرضت بودها لم تبخلِ

ومن الصفات البارزة في شخصية المرأة شدة الغيرة . فما ان تستثار كوامن الغيرة فيها حتى تغدو كاللبوة الضارية . ومن شواهد ذلك ما حكته حفصة بنت الحاج عن نفسها ، قالت تناجي من تحب :

اغار عليك من عيني رقيبي ... ومنك ومن زمانك والمكانِ
ولو اني خبأتك في عيوني ... الى يوم القيامة ما كفاني

وسيمر معنا قريباً مثال آخر لا يقل عن هذا روعة .

ومن ابرز المعالم في شخصية المرأة الاعجاب بالنفس . فلئن كان بين الرجال « عمر واحدً فكل النساء « عمر » ! ان المرأة شديدة العناية بنفسها، كثيرة الاهتمام بما يقال عنها . فان هي منيت بالتحدي والمنافسة ثارت في صدرها كوامن الحسد، واشتعلت في حشاها نار الغيرة . ولقد كان عمر ابن ابي ربيعة من ادق الرجال فهماً لنفسية المرأة ، ولذلك لا نتردد في اختيار شاهدنا مما قاله بلسانها :

زعموها سألت جاراتها ... وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني ... عمركنّ الله ، ام لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها ... حسن في كل عين من تود
حسد حملنه من اجلها ... وقديماً كان في الناس الحسد

واذا آثرت ان تسمع الشاهد منها مباشرة فاليك ما تريد :

عيون مها الصريم فداء عيني ... واجياد الظباء فداء جيدي
ازين بالعقود وان نحري ... لازين للعقود من العقود

هذا اخص ما وصف به الشعراء عرائس شعرهم .

٣ — مناط القلوب

خدر العفة : هوذا قلب الحياة النابض ، وسر البقاء الغامض . يأتمر الحي باوامره مكرهاً راضياً ، ويتآسى فيه العناء جذلاً مسروراً . فيا له من مر مستعذب ، ومضن مشتهى ! ويا لهـا حكمة الهية خفية سيرت الحي برضاه وسخرته بمشيئته !! ولكن ما هو هذا العامل الجبار ؟ اما على وجه التحقيق فلا ادري . ولا اخال احداً يدري! ولئن عز التحديد العلمي فليست الاوصاف العامة بعزيزة ولا نادرة . قالت ام الضحاك في وصفه :

وما الحب الاسمع اذن ونظرة ... وحنة قلب عن حديث يعن ذكر
ولو كان شيئاً غيره في الهوى ... وابلاه من جوى ولو كان من صخر

وهو في رأي علية بنت المهدي خير ما في الحياة — على مايتتابه من مرارة — بل ان هذه المرارة في رأيهـا هي سر من اسرار تلك الحلاوة ، قالت :

واطيب ايام الفتى يومه الذي ... يروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولارضى ... فاين حلاوات الرسائل والكتب؟!

والشعر الغزلي يظهر لنا المحبة العفيفة عاشقة مدنفة . قد اضناها الشوق ، وبرح بها الوجد . وهي مع ذلك اميل الى كتمان ما بها، وكبت ما تعانيه، واقرب الى الظهور بمظهر الصابر الخالي، والمتجلد السامي ، صوناً لعفتها ، وابقاء على كرامتها . ثم ان الشاعرة العاشقة قلما تحفل باوصاف حبيبها المادية . فان وصفته صرفت عنايتها الى فضائله الخلقية كالمروءة والشجاعة والكرم والانفة والعفة . والا فاكثر شعرها وجداني النزعة تعرض فيه لالامها واشواقها، وتصف ما تلاقي من ضنى الحب المكتوم والوجد المستتر . وهي — في ذلك كله — مثال العفة ، وعنوان الاخلاص . وان اردت ان تتحقق ذلك فتأمل هذه النفثات الحرى : قالت ام حمادة الهمدانية تصف آلامها :

دار الهوى بعباد الله كلهم ... حتى اذا مر بي من بينهم وقفا
اني لاعجب من قلب يكلفكم ... وما يرى منكم براً ولا لطفا
لولا شقاوة جدي ما عرفتكم ... ان الشقي الذي يشقى بمن عرفا

وقالت ام الضحاك المحاربية تصف اشواقها :

يا ايها الراكب الغادي لطيته ... عرج ابثك من بعض الذي أجد

ما عالج الناس من وجد تضمنهم ... الا ووجدي به فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه واني في مسرته ... ووده آخر الايام اجتهد

وقالت علية بنت المهدي تناجي حبيبها :

يا موري الزند قد اعيت قوادحه ... اقبس اذا شئت من قلبي بمقباس
ما اقبح الناس في عيني واسمجهم ... اذا نظرت فلم ابصرك في الناس

وان طمع النمام في تعكير صفاء المودة هبت تدافع عن كرامتها، وتعمل فيه الفتك والاثخان ، فتأمل هذه الغارة الشعواء التي شنتها حمدونة بنت زياد الاندلسية على الواشين :

ولما ابى الواشون الا فراقنا ... وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة ... وقل حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي ... ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

فيا لها من غارة شعواء !! ويا له من سلاح فتاك !!!

والمرأة في هذا الحب العذري الناعم شديدة الاستحياء، كثيرة التكتم . وربما آثرت تحمل الاذى والتضحية بحياتها على الفضيحة والعار . وهذه شيمة العفة المتناهية ، والنزاهة المطلقة . قالت ليلى العامرية في ما كان بينها وبين المجنون :

لم يكن المجنون في حالة ... الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى ... وانني قد ذبت كتمانا

وقالت بهذا المعنى ايضاً :

باح مجنون عامر بهواه ... وكتمت الهوى فمت بوجدي
فاذا كان بالقيامة نودي : ... من قتيل الهوى تقدمت وحدي

على انها قد تلجأ في كتمان امرها الى تضليل الناس بمختلف الحيل كما فعلت فضل الشاعرة ، قالت تناجي حبيبها :

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى ... لا قصرت عن اشياء بالهزل والجد
ولكنني ابدي لهذا مودتي ... وذاك لاخلو فيك بالبث والوجد
مخافة ان يغري بنا قول كاشح ... عدو فيسعى بالوصال الى الصد

حتى اذا اعيتها الوسائل ، واعجزتها الحيل ، قدمت نفسها ضحية على مذبح التقليد المقدس . وقصة قيس وليلى اشهر من ان تذكر .

حماة التبذل : لم تكن جميع النساء العاشقات عذريات الهوى ، عفيفات الحب . بل قد سلكت فئة منهن المسلك الاباحي . فعددن اوصاف المحبوب المـادية . وصرحن بالشوق والوجد ، وضربن المواعيد للزيارات ، واذعن خبر المغامرات ، وتطرقن الى ذكر المجون والسكر . على ان الانصاف يقتضينا ان نذكر ان غزل النساء الاباحي قليل جداً بالقيـاس الى العذري ، في حين انه يمثل النسبة العليا في غزل الرجال ، ثم هو عندها اقل تبذلاً وبذاءة منه عنده . قالت حفصة بنت الحاج تشبب بحبيبها :

ثنائي على تلك الثنايا لانني ... اقول على علم وانطق عن خبر
وانصفها لا اكذب الله انني ... رشفت بها ريقاً ارق من الخمر

وكتبت الى فتى اشتهرت بحبه تستزيره :

ازورك ام تزور فان قلبي ... الى ما تشتهي ابداً يميل
فثغري مورد عذب زلال ... وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد املت ان تظما وتضحى ... اذا وافي اليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل ... اباؤك عن بثينة يا جميل

وقالت ولادة بنت المستكفي تذكر بعض امرها مع ابن زيدون :

ودع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن ... زاد في تلك الخطى اذ شيعك
يا اخا البدر سناء وسنى ... حفظ الله زماناً اطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم ... بت اشكو قصر الليل معك !

وكتبت اليه تعلمه بانها ستوافيه ليلاً :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي ... فاني رأيت الليل اكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح ... وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

وهذا الحب لا يخلو الا مردفاً بالطرب والشرب والمجون . فما ان يلتقي الحبيبان حتى تبسط الموائد ، وتدار الكؤوس ، ويعلو الغناء . قالت فضل الشاعرة في وصف مجلس من هذا النوع :

سلافة كالقمر الباهر ... في قدح كالكوكب الزاهر
يديره خشف كبدر الدجى ... فوق قضيب اهيف ناضر
على فتى اروع من هاشم ... مثل الحسام المرهف الباتر

فاذا عز المال ، وتعذر الحصول على الخمرة ، لم تتورع من بذل حليها في تلك السبيل جرياً على الطريقة النواسية . قالت ام حكيم بنت يحيى في مثل ذلك :

الا فاسقياني من شرابكما الوردي ... وان كنت قد انفدت فاسترهنا بردي
سواري ودملوجي وما ملكت يدي ... مباح لكم نهب ولا تقطعوا وردي

ولهؤلاء الشواعر شعر رائع في وصف الطبيعة التي تحف بهذه المجالس قالت احداهن :

قدم الليل عند سير النهار ... وبدا البدر مثل نصف سوار
فكأن النهار صفحة خد ... وكأن الظلام خط عذار
وكأن الكؤوس جامد ماء ... وكأن المدام ذائب نار

وقالت حفصة بنت الحاج تصف بستاناً جمعها بحبيبها :

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا ... ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولا خفق النهر ارتياحاً لقربنا ... ولا غرد القمري الا لما وجد

فلاتحسن الظن الذي انت اهله | فما هو في كل المواطن بالرشد
فاخلت هذا الافق ابدى نجومه | لامر سوى كيما تكون له رصد

حتى اذا انقضى عهد الصفاء ، وانفصمت عرى الوصال ، لجأت الى الذكريات تتلذذ بها ، وتتعزى بترددها ،

كما فعلت عشرقة المحاربية اذ قالت :

جريت مع العشاق في حلبة الهوى | ففقتهم سبقاً وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى | ولا خلعوا الا الثياب التي ابلي
ولا شربوا كأساً من الحب مرة | ولا حلوة ، الا شرابهم فضلي !

هكذا نجد المرأة العاشقة في الشعر : فهي اما محبة عفيفة : تحصر همها في ذكر الاشواق ، ووصف الالام ، او عاشقة اباحية : تضرب المواعيد ، وتصف المغامرات . وشعرها في كلتا الحالتين غزير العاطفة متدفق الشعور .

شرك الهوى : ان المرأة المعشوقة — عذرية كانت ام اباحية — تبدو للعاشق الصب ابدا معرضة جافية : شأنها الصدود والاعراض ، وديدنها التقلب والاخلاف . ولئن كان من غريب شأنها ان تستعطف المعرض ، وتعرض عن المستعطف ، فمن اغرب اموره ان يستلذ العذاب ، ويستعذب الغدر . قال المحب المجهول في يتيمته :

قد قلت لما ان كلفت بها | واقتادني من حبها الجهد
ان لم يكن وصل لديك لنا | يشفي الصبابة ، فليكن وعد
قد كان اورق وصلكم زمناً | فذوى الوصال واورق الصد
واذا المحب شكا الصدود ولم | يعطف عليه فقتله عمد

وهاك ما يقاسي كعب بن زهير من اخلافها وغدرها :

اكرم بها خلة لوانها صدقت | موعودها ، او لو ان النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها | فجع وولع واخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها | كما تلون في اثوابها الغول
ولا تمسك بالعهد الذي زعمت | الا كما تمسك الماء الغرابيل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا | وما مواعيدها الا الاباطيل .

اما البحتري فلا يثور ثورة كعب بل يؤثر تلمس العزاء ، وتحسس اللذة في الكارثة الراهنة ، قال :

عذيري من بين تعرض بيننا | على غفلة من دهرنا وعذيرها
يحل غرور الوعد منها عزيمتي | واحلى مواعيد النساء غرورها !

هكذا تبدو المرأة المحبوبة لمحبها الشاعر وسواء اصدق في وصف كيدها وعتوها ام لم يصدق فهي ابداً المخلوق المحبوب الذي لا يسكن الا اليه ، ولا يجد السعادة الا الى جانبه !!

— البقية في العدد القادم —

كمال اليازجي

الى قراء الاديب

✶

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانيه .

في الخارج :

١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة .

— الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .

— احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف .

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

✶

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير التحرير : بهيج عثمان

المدير الفني : مختار قملي

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

الادارة

العرب

علموا النـاس افانين العلى وضروب المجد من دنيا ودين
ملأوا الارض صليلاً واتقوا قولة الذم ونقد النـاقدين
ان نزوا رجت بهم ارجاؤها او دعوا للفخر كانوا الاطولين
طرح النـاس لهم تيجانهم بعـد ايام شداد مرغمين
صرفوا الايام عن غاياتهـا وتولوا بالليـالي حاكمين
قوّموا من عوج الدهر فلم يجر صرف بسوى ما يشتهون

الموت

ما عرفنـا الموت الا ثمراً مزبئراً احمر النـار حرون
يغل الغيل على رئبـاله غير معف في مراعيهـا الضئين
مدمن يشرب من ارواحنـا ليس يروى او يبيد الآخرين
أزل يدفعنـا في أبد بمجز الظن وأيـد الايّدين
سفرة مـا آب من شقتهـا اروع داه ولا نـدب فطين

آية الضعف

آية الضعف امة تكثر النوح وتقضي ايامهـا تغريدا
خور منك ان تعز على الدمع او الحلم رقة وجمودا
ذلة الحزن ساعة ثم تأتي غضبة تترك البليد حديدا
هل سمعتم رد البكاء فقيداً أم رأيتم فك الاسى مصفودا ؟
سئمت هـذه النجوم بكاء كلما شيع القطين فقيدا

دمشق محمد البزم

كيف نحيي القرية

بقلم البرت الريحاني

القرية مجموعة بيوت نظيفة منها متوسط ومنها متواضع ومنها حقير ، وهي تؤلف الجزء الاكبر من الامة . تقوم في بقعة من الارض يحيط بها اخضرار يانع من الزرع والاشجار . وعلى مسافة قريبة منها تجري عين سلسبيل مصونة بالحديد فتفصل شرب الانسان عن الحيوان . وفي مكان آخر تمتد ساحة فسيحة هي ملعب القروي جوها هادىء منعش ، واشجارها مائسة خضراء تغرد على اغصانها عصافير الوديان والجبال والسهول ، وتأوي اليها حيوانات الغاب المجاورة . يقوم القروي باستثمار ارضها طلباً للعيش فترى فيه ركناً نشيطاً وساعداً مفتولا ووجهاً ذا خطوط صادقة لا غش فيه وشرايين حمراء تتشعب في ذاك الوجه القوي . تلتقيه في الطريق فتراه في لباس متواضع نظيف ، وتلتقيه في بيت وادع مطلق للهواء والشمس ، مجهز بمياه جارية ، يضاء بالكهرباء . في احدى جنباته مكتبة صغيرة وفي ناحية منه يقوم جهاز راديو بسيط . وما ان تجيل النظر فيه حتى تتجلى لك النظافة والنظام في كل نواحيه : في مقاعده ، في «شراشفه» في اوانيه وفي كل ما تقع العين عليه . تحيط به روضة من الازهار فلا مستنقعات ولا اقذار حوله ، ومجاري المياه تصب جميعها في مخططات تحت الارض فلا ذباب ولا بعوض . يتضح لك وانت تحادث اهل البيت انهم يلمون ببعض العلم استيفاء لحاجاتهم . فتستأنس بعائلته كما يستأنس به وتعرف في زوجه امرأة فاضلة تعمل على خدمة عائلتها وبيتها تحب عليه العطف وبغذيه الاخلاص فتربي اطفالها تربية صحية حديثة وتغمر افراد عائلتها بالعناية والوقاية من الامراض . يطالعون الجرائد والكتب ويستمعون الى الراديو فيمارسون من الزراعة الحديثة واسواق تصريفها ما يوافق الحالة ويتقيدون بالوسائل الصحية المستحدثة ، من نظافة ووقاية وتغذية ما هو بامكانهم .

هذا هو القروي في بيته اما في حقله فتراه مغموساً بالتراب ، يتصبب العرق من جبينه فيقلب الارض الى الوان تعشقها العين والى اخضرار تتحدث الحياة اليك بلسانه ، وتفوح من حوله رائحة السماد والارض والاعشاب . وفي كلا الحالين ان في بيته وان في حقله هو سيد القرية وساعدهـا العامل ، بل ساعد الامة القوي .

ترى في ابقاره ومعزه مظاهر النظافة والقوة ، وفي طيوره الداجنة دلائل الرخاء والمرح وهي تعيش في اقبية من مسكنه المتواضع متوفرة لها شروط النظافة والراحة والعناية . اما وقد لا تملأ اعمال الزراعة جميع اوقاته فالانصراف الى غير الزراعة في ايام الفراغ مستحب ومرغوب فيه . فمنهم صانع الخزف والحصير والسلال ، ومنهم النجار والفران والبقال واللحام ، ومنهم الحداد والاسكاف والخياط والمصور والنحات والبناء ، وغيرهم من اصحاب الصناعات المؤاتية للمحيط .

في القرية طبيب يشرف على حالتها الصحية فيرشد اهلها الى طرق الوقاية اولا ويداوي المرضى ثانياً . وفيها ملعب يقع في مكان جميل ومن حوله اشجار وارفة الظلال متدلية الاغصان يتبارى فيه القرويون الاشداء بالعاب محلية تكون جزءاً من سلواهم . وبينما انت في هذا الجو الاخاذ تسمع من فوق السطوح موسيقى القصب والمنجيره وانغام الزجل تتخلل سكون القرية الجبار . وترى من تحت الاشجار حلقات من الرقص المحلي تملأ المكان مرحاً وحبورا . تقوم في احد اطراف القرية وفي مكان جميل واسع مدرسة تعنى بتعليم الاولاد من ذكور واناث ، هي بمثابة مصنع انساني يخرج القرويين على مثال ما ذكرنا فتتمشى على برامج المدارس القروية وتحبب حياة القرية للطالب وتفتح امامه سبل العيش والرخاء . في القرية غرفة تلفون للعموم تربطها بجميع انحاء البلاد ولها طرقات رحبة معبدة تجعلها سهلة المواصلات .

هذه هي القرية المنشودة . هذه هي قرية المستقبل في لبنان . وكيف نعمل لها ؟ لكل عمل ناحيتان : ناحية مادية واخرى معنوية ولا يقوم عمل بدونهما . فالناحية المادية التي يتطلبها مشروع القرية تتحقق باصدار طابع بريدي خاص يحمل تصميماً قروياً جميلاً تقره الحكومة وتتقاضى قيمته على كل رسالة بريدية في داخل البلاد زيادة على الرسم العادي فيصرف دخله على المشروع باشراف دائرة خاصة تدعى دائرة انعاش القرى . وللحكومة الحق باصدار طابعين آخرين في كل سنة ، واحد في ايام البذار تقيم له عيداً وطنياً تدعوه ، اذا شاءت ، عيد الزرع ، والاخر في ايام الحصاد تقيم له عيداً آخر تدعوه عيد الثمر فيباع الى جامعي طوابع البريد ويرصد دخله للمشروع ايضاً . وهناك وسائل اخرى يسهل تنفيذها على الحكومة كلما شاءت توسيع المشروع .

هذا مثال من امثلة عديدة لجمع المال . وما ان تتأمن الناحية المالية حتى يجيء دور العمل . فعلى رجال المشروع المسؤولين ان

يشيدوا قرى لبنان أقلها على مثال القرية التي سبق وذكرناها . وكل قرية هي دون التي ذكرنا تحتاج الى عناية خاصة فانعاش فاصلاح . ما يمنع مثلاً ان تفرض الحكومة على كل قرية تشييد ملعب خاص — ملعب القروي — يقوم ابناء القرية ببنائه وتساعد دائرة انعاش القرى ببعض لوازمه .

اما تحسين الزراعة في القرية فمشروع انعاش القرى يساهم بقسطه من نشر الكراريس وعرض الصور الفوتغرافية وتقديم المساعدات الشخصية للقروي . فيبحث معه تحسين حالة الزراعة من جميع نواحيها ، ويعالج الاخصائيون منهم امراضها . ولكانت النتائج افضل واعم فيما لو تكاتفت وزارة الزراعة مع مشروع انعاش القرى لمعاونة الفلاح في هذا الحقل . ومثلما هناك في المدينة اليوم « سوق للفلاح » تعرض فيها مزروعاته للتصريف ، كذلك يجب ان يكون في المدينة سوق للصناعات القروية تعرض فيها للاستهلاك ما يصنعه القروي . ففي هذا العمل تشجيع يحبب القرية لابنائها ويحول دون هجرتهم منها . فسوق الفلاح وسوق الصناعات القروية تسهلان للقروي في قريته حياة رخاء يحسد عليها .

اما الحالة الصحية في القرى فتتوقف غالباً على طبيب القرية . فلو عينت وزارة الصحة في كل قرية او مجموعة من القرى تربطها وحدة جغرافية طبيباً من قبلها تدفع الحكومة نصف راتبه ويتقاضى من عيادات القرية ما تبقى لشجعت بعض الاطباء على سكنى القرى ولوفرت للقرويين حياة صحية اصلح مما هي عليه الآن . ومثلما ينشر مشروع انعاش القرى النشرات الزراعية فمن المستحسن كذلك ان ينشر بالتعاون مع وزارة الصحة منشورات شهرية صحية توزع على القرى مجاناً وتعرض بساحاتها في محل خاص يدعى « منشورات انعاش القرى ».

وفوق هذا يعهد سنوياً الى لجنة تفتيشية لزيارة القرى في فصل الصيف فتشرف على الحالة الصحية وتضع تقريراً لها . وتسهيلاً لتحقيق المساعي والمشاريع القروية يجب ربط القرية بالمدينة وبغيرها من القرى بشبكة من الطرقات المعبدة . في تعبيد طرقات القرى التي تؤلف المجموع الاكبر من شبكة الطرقات في البلاد تستفيد الامة من ارتباط جميع اطرافها بعضها ببعض .

وهناك المدرسة وهي بيت القصيد في جميع هذه الاصلاحات ، فهي كما ذكرت تكون مثالاً قروياً أعلى وتعطي الامة عضواً فعالاً يعمل على انهاضها واحيائها . فمن الواجب على وزارة المعارف اذاً ، ونحن في فجر النهضة ، ان تؤلف لجاناً لدرس نواحي التعليم في البلاد ومنها لجنة لوضع برنامج المدرسة القروية على طرق حديثة تتمشى مع تطورات الزمان وتتآلف مع حاجات القروي فتحد من هجرته الى المدينة وخارجها وتحبب اليه سكنى القرى . فعلى مدرسة القرية بعد الدروس الثانوية ان تتقن تعليم الزراعة وتعليم الصناعات القروية مستعينة بالافلام السينمائية لشرح مواضيع صفوفها . وعليها كذلك ان تشجع الفنون القروية ، فهي ذات طابع واغراء خاص . فالتصوير والنحت والحفر يجب ان تكون جميعها مواضيع اساسية في برنامج المدرسة . فوحي الجمال الطبيعي في القرى هو عامل مهم لابتكار مواضيع جديدة في هذه الفنون . ولا عجب اذا تربع نبوغ الفنون القروية على كرسيه بعد ان تصبح هذه المواضيع من خصائص مدرسة القرية . اضف الى جميع هذه موسيقى القصب والمنجيره وشعر الزجل التي تتمم الوان القرية وتعبل على سلوى القروي ومرحه . هذا بعض ما نعمله لانعاش القرى . اما كيف نتعاون على العمل فاليك جزءاً من خطبطه . ان مشروع انعاش القرى وفرعه الرئيسي في بيروت يقوم بجهود كبيرة في سبيل تحقيق غاياته . لكنه — قلما تأتيه معونة من الخارج — تراه يواجه صعوبات جمة في نشر مبادئه وتحقيقها عملياً في مختلف انحاء لبنان ، وعليه ارتأي ان يكون لمشروع انعاش القرى اعضاء في جميع الوزارات — في المعارف والصحة وفي الزراعة والنافعة ، فحيث يحتاج المشروع الى معونة الحكومة يجد هناك اعضاء منه يفهمون مقاصده ويدينون بدينه .

فيعملون مجتهدين لتحقيق غايات المشروع الشريفة . وعليه أن يقيم له مراسلين في كل قرية من قرى لبنان وهؤلاء بدورهم يعملون عمل المفتشين في القرى . فكلما وجد احدهم باباً للاصلاح في قريته ارسل تقريراً بذلك الى مكتب انعاش القرى الرئيسي في بيروت . وهذا بدوره يفحص ويدقق فحيث كان التقرير وجيهاً ويمكن تحقيقه يتعاون مكتب الانعاش مع ممثله في الوزارة المختصة لتنفيذ العمل وهكذا يرتبط التعاون بين افراد المشروع بمركز رئيسي قوامه الادارة والنظام وعصبه ايمان واخلاص واقدام .

القرية خزان ماء الانعاش في جسم الامة ، ومنها تتشعب شرايين الحياة الى هذا الجسم . فاذا فسد الخزان فسد ماؤه وبالنتيجة تفسد الامة . على هذا النظام تنعش القرى . وفي انعاش القرية انعاش المدينة . وفي انعاش الاثنين انعاش الامة .

البرت الريحاني

العصر الحديث في كتب الاقدمين

بقلم
نور الدين بيهم
امين المخطوطات بدار الكتب

قلم الحبر

منذ الف عام تماماً سنة ٣٦٣ هـ استدعى الخليفة المعز لدين الله ارباب الفن في دولته وامرهم بصنع ١٠ اوضحه لهم فبعد مدة من الزمن اتوه بما امر به « فاذا هو بقلم مصنوع من ذهب مداده من داخله متى شاء الانسان كتب به فيمده القلم بالحبر ومتى كف عن الكتابة ارتفع المداد من تلقاء نفسه[1] واذا قلب هذا القلم يميناً او شمالاً طلوعاً او نزولاً فلا يراق منه حبره واذا وضع في الكم او الجيب فلا يرشح منه حبر ولا يلطخ الثياب » .

المطبعة

ان اهمية فكرة ايجاد الطباعة لم تفت العرب وادركوا انها الوسيلة الوحيدة لسرعة النشر وتعميم الفكرة وقد جاء في الاحاطة في احوال غرناطة تأليف الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب الاندلسي ان ابي بكر القلوسي الف كتاباً في صنعة (الامدة) الحبر وعمل آلة لطبع الكتاب .[2]

وحدثنا ابن الابار عن بدر مولى الامير عبد الله قال : « كان الامير عبد الله يكتب السجلات في داره ثم يبعثها للمطبع فتطبع وتخرج اليه فيبعثها في العمال[3]

المداواة بالكهرباء

وقد استعمل الاقدمون الكهربائية لمداواة مرضاهم وذلك انهم كانوا يضعون على رأس المريض الذي يشكو الم الصداع السمك المسمى بالرعاد[4] وهذا النوع من السمك فيه مادة كهربائية يشعر من يلامسه بتيار كهربائي قوي ينتفض منه وهو سمك معروف عندنا اليوم ويسمى الى الان بالسمك الرعاد . وروى المسعودي في مروج الذهب[5] ان السمك المعروف بالرعاد اذا وقع في شبكة الصياد رعدت يداه ؟ فيعلم بوقوعها فيبادر الى اخذها ولو امسكها بخشبة او قصب فعلت ذلك وهذا السمك اذا وضع وهو حي على رأس من به صداع قوي شفي . » وقال كمال الدين الدميري : « اذا وقعت الرعادة في الشبكة شد الصيادون حبال الشبكة في وتد او شجرة حتى تموت . فاذا ماتت بطلت خاصيتها » . وقال ابن سيده : « الرعادة اذا قربت من رأس المصروع وهي حية نفعته » .[6] .

مذهب داروين

وكذلك عرفت العرب مذهب النشوء والارتقاء المعروف اليوم بمذهب دارون فقد جاء في علم الطبائع[7] بحث عن هذا المذهب وقال محمد بن احمد الوراق المعروف بالكتبي عن بحثه عن القرد ما حرفيته : « هذا الحيوان عند المتكلمين في علم الطبائع مركب من انسان وبهيمة وهو من تدريج الطبيعة من البهيمة الى الانسان وهو يحاكي الانسان بصورته وافعاله »[8].

مذهب اينشتين « النسبة الزمنية »

وهذا يعقوب بن اسحق الكندي الملقب بفيلسوف العرب واحد ابناء الملوك الطبيب الفيلسوف المهندس الفلكي الرياضي العالم بطبائع الاعداد يؤلف لنا رسالة في النسبة الزمانية .

قال عنه سليمان بن حسان « لم يكن في الاسلام فيلسوفاً غير الكندي وكانت ابحاثه عويصة الحل صعبة الفهم . » كرسالة في النسبة الزمنية وقال عنه القاضي ابو القاسم صاعد في طبقات الامم عندما ذكر تصانيفه وكتبه : « لا ينتفع بها الا من كانت عنده مقدمات عتيدة . » وهكذا نرى ان فكرة النسبة الزمنية التي قام بها العلامة اينشتين لم تغب عن ذهن الفيلسوف والرياضي الكبير يعقوب الكندي والف فيها رسالته في النسبة الزمنية منذ مئات السنين .[9]

آلة لجمع الحساب

وقد خطر ببال الكندي العظيم ان يصنع آلة مخرجة لجمع الحسابات كما نشاهدها اليوم في المحلات والمؤسسات الكبيرة . وقد الف بذلك « رسالة سماها رسالة في عمل آلة مخرجة الجوامع »[10]

الكلاب الذئبية

وقدم عرف الاقدمون ان ينسلوا الحيوانات ويجمعوا بين جنسين مختلفين عن طريق التزو ليأتيهم نتاج جديد . فقد جاء في حياة الحيوان للدميري ان الديسم هو ولد الذئب من الكلبة ولشار بن برد شعر برجل اسمه ديسم[1]

وقال الجاحظ[2] الديسم هو ولد الذئب من الكلبة وهواغبر

اللون وغبرته ممتزجة بسواد .

ولم تأت الكلاب الذئبية عن طريق النزو عفوا بل تقصد الاقدمون هذه الطريقة في النزو حتى تأتيهم هذه النتاج الغريبة . فتقي الدين احمد بن علي المعروف بالمقريزي يفيدنا عندما كان يتكلم عن احد الملوك بما نصه : « وهو اول من ولّد الكلاب من الذئاب »[١٣] فبذلك نرى ان الكلاب الذئبية التي نشاهدها اليوم ليست من مبتكرات العلم الحديث ونتيجة تجارب علمية حديثة بل هي معروفة منذ القديم وقد سبقنا اليها الاولون .

الادوية اقراصاً

وهذا الطبيب الشيخ السديد ابن ابي البيان مولود القاهرة سنة ٥٥٦ هـ الذي قال عنه موفق الدين ابي العباس احمد الخزرجي المعروف بابن ابي اصيبعة في كتابه طبقات الاطباء[١٤] كان الشيخ السديد شيخاً محققاً للصناعة الطبية متقناً لها متميزاً في علمها وعملها خبيراً بالادوية المفردة والمركبة ولقد شاهدت منه ما يعجز عن الوصف . وكان اقدر اهل زمانه من الاطباء على تركيب الادوية ومعرفة مقاديرها واوزانها . وقد توصل في صناعة الطب ان يصنع الادوية اقراصاً ويعطيها لمرضاه وهي في نهاية الجودة . »

سمك الرعاد

جاء في المقريزي عن ابن البيطار[١٥] انه جاء في مروج الذهب للمسعودي : « وفي نيل مصر عجائب كثيرة من الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة منه نحو الذراع ، انه اذا ادني من رأس من يشتكي الصداع سكن صداعه . ولكن انا جربت الامر فلم اجده يفعل ففكرت اني ادنيته من رأس المصدوع والحيوان ما هو حي لانني ظننت انه على هذه الحال يكون دواء يمكن ان يسكن الصداع بمنزلة الادوية فوجدته ينفع ما دام حياً . »

وقال يونس : الزيت الذي يطبخ فيه السمك الرعاد يسكن اوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به .

وقال ابن البيطار رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الاندلس سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر وباطنها ابيض وفعلها في تخدير ماسكها كفعل رعاد مصر او اشد الا انها لا تؤكل البتة . واذا وضعت على الرأس الذي عرض له الصداع المزمن سكن شدة وجعه[١٦]

الطبخ على الكهرباء

واني اروي بكل تحفظ خبراً يعد مستغرباً وبعيداً عن التصديق (مع ترجيحي الى اعتقاد صحته لاعتقادي ان لا مستحيل على العلم والاختراعات نتيجة العلم والبحث والصدف : اقول : روى المقريزي[١٧] « .... وعمل في ايامه تنوراً يشوى فيه من غير نار ويطبخ فيه بغير نار » .

نور الدين بيرم

---

(١) المجالس والمسامرات للقاضي ابي حنيفة النعمان (غير صاحب المذهب المشهور) ص ١٣٥ من مخطوط يملكه السيد محمد كامل حسين في مصر . (حاشية) وجدت بين مسوداتي هذه العبارة بخط يدي : لهذا الخبر مصدر ثان نسيت ان اذكره والان غاب عن ذاكرتي . يجب البحث عنه .

(٢) الاحاطة في احوال غرناطة في ترجمة ابي بكر القلومي حوادث سنة ٧٧٦ هـ .

(٣) الحلة السرية لابن الابار طبعة دوزي ص ١٣٧ . قال المستشرق برغشتال عن المؤلف « ابن العطار » راجع الجريدة الاسيوية سنة ١٨٥٢ السلسلة الرابعة ج ٢٠ ص ٢٥٥ وقال الاب لويس شيخو « ابن الاثير » راجع المشرق سنة ١٩٠٠ مجلد ٣ ج ١ ص ٧٨

(٤) مقريزي ج ١ ص ١٠٥

(٥) مروج الذهب ج ١ ص ١٧

(٦) كمال الدين الدميري ج ٢ ص ٢٦

(٧) دعوة الاطباء ص ١٤١

(٨) الاثار مجلد (٥) ج ٩ ص ٤٩٧

(٩) طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٧ – ١٤

(١٠) طبقات الاطباء ج ١ ص ٢١٠

(١١) الدميري في حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٣

(١٢) حياة الحيوان للجاحظ ج ١ ص ١٨٣

(١٣) خطط مصر للمقريزي ج ١ ص ١٨٣

(١٤) طبقات الاطباء ج ٢ ص ١١٨ . المطبعة الوهبية ١٨٨٢

(١٥) خطط مصر ج ١ ص ١٠٧

(١٦) مفردات ابن البيطار ج ٢ ص ١٤١

(١٧) خطط المقريزي ج ١ ص ٥٩ طبع مطبعة النيل ١٣٢٤

معجم الالفاظ العامية العربية والدخيلة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر وسوريا والبرازيل

★

[ش]

شاباش لعيونه – أي اكراماً لعيونه والفعل عندهم شوبش وتقال في الاعراس عند تنقيط العروس لمن ينقدها دراهم فهي اما من التركية (ايش باشي) بمعنى صاحب الحل والعقد أي الوجيه . واما من الفارسية (شاباش) وهو الاولى بمعنى نعماً وما احسنه .

شابورة بطيخ – هي ما يقطع من البطيخ ليؤكل قطعاً مستطيلة اشبه بأنصاف الدوائر اصلها عبراني بمعنى المكسورة – فيراد فها عند الفصحاء الكسرة والحزة والزوعة تقول زاع لفلان زوعة من البطيخ قطع له قطعة وتقول العامة شحبر وشحبورة ايضاً وخزعل البطيخ وغيره قطعه قطعاً صغاراً هي البنقوس وعند العامة النقوس .

الشابوقة – عصا طويلة تتخذ لتنظيف البيوت سقوفاً وجدراناً وتسمى في لبنان المعسفة والفعل عسف والعمل التعسيف . وفي دمشق يسمونها (المسطيجة) ولعلها تصغير (المسطيحة) مؤنث المسطح مصحفة عمود الخباء للشبه . والشابوقة سريانية بمعنى المنفضة لنفضها الغبار . ومنها شبقه بالكف أي صفعه وشبقه في الارض رماه .

الشاكوش – مطرقة صغيرة لدق المسامير تركيتها (جكيج) وعربيتها مدق ومدقة .

الشاقول – تعريب شاخول او شاقل الفارسي بمعني ميزان البنّاء الذي يضبط فيه الجدار والمطار الخيط للقياس والشاقول سريانية بمعنى العقلة لرفع الحجارة والهدم .

الشال – ما يلف به الراس وضع له تيمور باشا الطيلسان .

الشُّبُق – تركيتها (جبوق) بمعني قضيب طويل او ماسورة فسمي الغليون بها .

الشتلة – سريانية الغرسة من الشجر والخضراوات وعند الفصحاء الغريسة الفسيلة ساعة توضع حتى تعلق ٠ والفسيلة النخلة الصغيرة تقلع من الارض او تقطع من الام فتغرس وأفسل الفسيلة وافتسلها اقتلعها ثم غرسها في مكان آخر . والجثيث فرخ النخل والبتيلة فسيلة النخلة التي استغنت عن امها . والقالعة الفسيلة تقتلع من اصل النخلة . والوديّ صغار الفسيل واحدتها ودية هذا عند الفصحاء . والعامة تستعمل النصبة بمعنى الفسيلة وهي عند الفصحاء السارية المنصوبة علامة لمعرفة الطريق .

الشتوية – تقول شجرة شتوية أي تحمل في الشتاء ثمراً او يبقى ثمرها الى الشتاء وفصيحها المئخار وهي من النخل ما يبقى حملها الى آخر الشتاء .

شحّاد العين – بثرة او نقطة حمراء تخرج من الجفن وفصيحها الوَدَق وودقت عينه اذا ظهر فيها الودق .

الشحّار – سريانية بمعنى السواد فصيحها السناج وهو اثر دخان السراج على الحائط . والسخام سواد القدر .

شخشير – تركيتها (جاقشير) من الفارسية (جاهجور) نوع من السراويل .

شرشف – فارسيتها جارشب واصلها جادرشب بمعنى خيمة الليل ومنها جارشف التركية . وهو ملاءة تبسط فوق الفراش لحفظه نظيفاً فصيحها المقرمة . واذا بسطت على المائدة فهي السماط .

شرق الرجل من الثلج – اذا اثر في بصره فتغير . فصيحه قمر الرجل تحير بصره من الثلج ولم يبصر فيه .

الشرقية – الهواء الشرقي وريح السموم التي تهب من الشرق ومنها اخذ الايطاليون كلمة سيروكو بمعنى الريح الشرقية .

شركل – سريانية بمعنى ربط . وعرقل ومنه شركله جداء الماعز أي ربطها بأرجلها لتهتدي العنزة الى اولادها وترضعها والمطاوع تشركل .

شروال – فارسية من (شِل) فخذ و(دار) حافظ أي لباس الفخذ . ويقال فيها السروال والسربال وهذه من (سر) فوق و(بال) قامة . وهو لباس معروف عندنا .

شطت ريلته – أي سال لعابه (الولد) فصيحها لعب الصبي اذا سال لعابه من فمه . وألعب اذا صار له لعاب يسيل . ورال الصبي سال رياله أي لعابه . والريق ماء الفم .

شعر عيارة – أي شعر مستعار فصيحه الجمة ذكرها ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني الجزء الاول قال : ان ابن سريج المغني بلغ ٨٥ سنة وصلع (صار اصلع) فكان يلبس جمة . والقرمل ضفائر من شعر تصل بها المرأة شعرها .

الشعيرية – عجين يعمل حبوباً مستطيلة كالشعير ويجفف ويطبخ . واللاخشة بالفارسية اصلها لخشك طعام كالخيوط من الدقيق . وفصيحها الاطرية . وسماها بعضهم المفتلة .

شلش – بمعني كدر وزعل كأنها من (شُورِش) الفارسية بمعنى فتنة ونزاع .

شلة خيطان – حزمة صغيرة من الخيوط تركيتها جله فاذا كانت مستديرة فهي الكبة والعامة تقول الكبكوبة والشمبوط سريانية .

شمط – الشيء من مكانه اقتلعه . وشمط اذنه اذا جذبها وهي سريانية .

شنطط – وتشنطط القوم اذا تفرقوا وتغربوا من كلمة شمطط أي

الفرقة من النـاس تقول ذهب القوم شماطيط وجاءت الخيل شماطيط أي متفرقة . فاشتقت العامة منها فعلا كما ترى .

الشوندر – والشمندر نبـات من جنوبي اوربة اسمه Beta وهو جذر كالكرنب احمر اللون سكري الطعم يستخرج منه السكر ويوكل مسلوقاً بالماء ويسمى بالفارسية بانجار فعرّب (بنجر) وبالتركية يسمى جوغور او جوكندر .

شيش – تركية وهو قضيب منحديد يشك فيه اللحم ليشوى فصيحه سفود . والرضف حجارة يشوى عليها محمية .

شيشه – تركية بمعنى زجاجة وقارورة وقنينةومنها اخذ اسم النارجيلة (الاركيلة) لانهـا من زجاج ولا يعرف المصريون اسم النارجيلة الا الشيشة .

[ص]

الصابون – مطبوخ مركب من الزيت او الشحم ونحوهمـا مع القلى للغسل والتنظيف فارسي وقيل سريـاني وغير ذلك من الآراء وعربيته الغاسول وهوالحرض من الاشنان وهذه بمعنى واحد يتركب منها الصابون

صابونة الركبة – العظم المستدير كالصابونة المتحرك في راس ركبة الرجل وفصيحها الداغصة والفلكة .

الصجق والجق – تركيتها (صوجوق) بمعني طري ولذيذ . وعند العامة المصران جمع المصير بمعنى المعى والمصارين جمع المصران وتسميه العامة الفارغ .

الصحّارة – تركيتها (صَحاري) أي صندوق السفر . والعـامة تستعملها لصندوق من خشب صغير .

الصرا – ويقال السرا تركية بمعنى الصف والنظام والسطر .

صَنْدا بَنْدا – تركيتها (شونده بونده) في هذا وذاك والعامةتستعملها بمعنى ابهة وعظمة .

الصندال – من التركية (صندال) بمعني زورق وهي نوع من الحذاء بلا ساق اشبه بالزورق .

صيبار الباب – سريانية بمعنى الرصيد اي شق البـاب ويسمى ايضاً (صوص الباب) وفصيحها النجران وهو الخشبة التي تدور فيهـا رجل الباب عند فتحه واغلاقه .

صوص الدولاب – فصيحه الجزع وهو المحور الـذي يدور عليه الدولاب او المحالة أي البكرة العظيمة والصوص سريانية .

الصوفانة – مـا يقع فيها السقط عند القدح من خرقة او نبخة وهي الكبريتة التي تثقب بهـا النار . وعند عامتنا مادة من خميرة السنديان تشوى بالرماد الحار وتوضع بين القداحة والصوانة للاحتراق وفصيحهـا (الحراقة) .

صاية – تركية بمعنى ظل وحمـاية وصيانة وسطوة يقولون فلان في صاية فلان أي في حمايته .

الصاية – من النسيج الثوب المستطيل الملفوف، وهو انواع مثل السب شقة الكتان الرقيقة . والكنّارة الشقة من ثياب الكتان . والسَرَقَة الشقة من الحرير والطريدة الشقة المستطيلة من الحرير او سواه .

الصيرة – سياج للغنم تنـام في وسطه وكذلك للبقر ، وهي انواع كثيرة منها الحظيرة للغنم والبقر، والحريسة للغنم ، والعُنّة للابل والخيل ، والوصيدة من الحجاره للماشية في الجبـال وهذه تسمى المراح ايضاً وهي مأوى الابل والبقر والغنم اي موضع راحتهـا . تقول اوصد واستوصد اتخذ وصيدة . واراح الراعي الغنم ردها الى المراح ، والزريبة حظيرة الغنم من خشب وزرب الراعي للغنم بنى لها زريبة وزرجها فيها ادخلهـا . وهذه الكلمة تستعملها العـامة كثيراً . والجديرة للغنم من الحجارة واكتنف القوم اتخذوا حظيرة لاغنامهم .

الصينية – بمعنى الطبق وهو الذي يوكل عليه او توضع عليه الفواكه معربة عن الفارسية (سيني) ومثلهـا بالتركية وهي انواع فصينية الفضة هي القذمور . وصينية القش النفية .

الصيوان – فارسية مركبة من (سايه) ظل و(بان) صاحب . وتركيتها (صايوان) وهي الخيمة الكبيرة من القماش . والخيمة كلمة حبشية . وممـا يناسبها السرادق وهو الذي يمد فوق صحن البيت من كرسف أي قطن . والفسطاط البيت من الشعر .

صاغ – تركية بمعني صاف تستعمل للنقود فصيحها صحيح .

صالو – تركيتها (صاله) ايوان . او صفة عظيمة .

صالون – تركية قاعه الاستقبال . او معرض وفصيحها (البهو) . وهو البيت المقدم امام البيوت وتسميها عامتنا قاعة الاستقبال .

[ض]

الضاني – لحم الغنم خلاف الماعز . اصله الضأنيّ عند المولدين وهو لحم الغنم فحرفوه .

ضبّ لسانه – أي سكت فصيحها اضب على ما في نفسه سكت عليه واضمره .

ضب اغراضه – جمعها وهيأها للسفر ونحوه فصيحها ضم تفاريق متاعه أي ما تفرق منه فابدلت الميم بالباء .

ضرب له باط اجر – اذا لوى رجله على رجله ليصرعه في القتـال فصيحها عقل المصارع خصمه اعتقل رجله برجله وصرعه ، ومـار الرجل تلوى عليه ليصرعه .

ضربه على نقرته كفًا – فصيحها قذله أي ضرب قذاله (قفا رأسه) وقذه وهما ما بين الاذنين من وراء .

ضربه نقفة دين كف – أي كفًا أليمة .

ضربوا باطوق حوله – أي حصره الجند في وسطهم والباطوقتركية ومنها قولهم يطق عليه أي حصره فصيحها احتوش القوم عليه احدقوا به وجعلوه في وسطهم .

الضر – النمل الصغير تحريف الذر .

الضرف – تصحيف الظرف الوعاء . وزق الخمر .

ضرفول الليمون – القطعة منه وهي الحزة او الضلع ومن اساليب العامة بدنه مضرفل من القتل اذا اثر فيه الضرب فصار جلده كضرفول الليمون منتبراً وفصيح هذه الجُدَرة آثار ضرب او جرح مرتفعة على الجلد جمعها الجُدَر .

الضاّيل – والدروة المكان الذي لا تظهر فيه الشمس فصيحه المقيأة والمقبوءة . والضايل تحريف الظليل أي المكان الدائم الظل .

الضو – تحريف الضوء ويكني به عن الصبح يقولون طلع الضو أي بزغ الصباح والفجر وضوّا القنديل تحريف ضوّأه اذا نوره فضوّا أي اضاء .

زحلة   عيسى اسكندر المعلوف

معاد الربيع

✯

عدتَ يا صاحبي الربيع وعدنا ... فامضِ في الكون كيف شئت وأنى

قد نقلنا عنك القصائد زهراً ... فارو هذي القصائد الزهر عنّا

وقبسنا ما شاقنا من مرائيـ ... ـك، وهل ثم منظر لم يشقنا ؟!

قد شملت الحياة ركناً فركناً ... وغمرت القصيد وزناً فوزنا

لك مسرى اخفى من الروح في الجسـ ... ـم تهادى في خاطرى واطمأنا

قد سلكت الحياة في سبب منـ ... ـك فزدت الحياة سحراً وفنا

انت في الغصن حينما يتثنى ... انت في الطير حينما يتغنى

رب لحن سرى الى النفس روضا ... ورياض سرين في النفس لحنا

ضمّ عود الربيع بلبلة الاكـ ... ـوان طرا فصرن في النفس كونا

القاهرة ... العوضي الوكيل

في الملجأ

بقلم رشاد المغربي دارغوث

لم يصح من غمرة الساعة الآعلى نبرات صوت اجش ، انفجر كالقنبلة في احدى نواحي الملجأ . فساد الزاوية سكون غريب ، راح يسري منها الى سائر الزوايا ، حتى عم المكان الصاخب صمت صاعق فيه من الفجاءة دهشتها، وفيه من الاستنكار حنقه(1) . فقد مشى «سامي» نحو الملجأ في من مشى اليه ، وهو واثق من ان الامر تمرين يستهدف تعويد الناس ، قبل الطواري. المرتقبة ، على التقيد بالنظام ، حتى في الساعات التي لا هم للمرء فيها سوى الخلاص بنفسه ، والنجاة بحياته . ولكنه مـا ان خطا الخطوات الاولى ، في الساحة التي تفصل مكتبه ، في (وكالةسرسق) عن حديقة الشهداء ، حتى بات، وكأن رجليه قد اوثقتا الى جناحي طائرة ، ورأسه قد شد الى فراشها فما يحس وجوداً لشيء ، حتى البلاط تدوسه ارجل اللاجئين باحذية دعمت نعالها بقطع من حديد ، وحتى هؤلاء الناس يتجمهرون عند الحديقة ، وقد انقلبت الى خنادق ملتوية ، وسط خضرة اعشابها ونضارة ازهارها، وجمال تنسيقها ليشهدوا « مناورة » الدفاع السابي ، تقوم بها بيروت اول مرة ، فموظفون عاشوا في جو من غبطة الناس وحسدهم حتى اعلنت هذه الحرب ، وتجـار استثمروا هذه الظروف القاسية على افظع وجه ، وعمال عاطلين ، وباعة متجولين ، وحمالين ، وماسحي احذية وسائر من يعيش في قلب العاصمة ، في دائرة يمتد قطرها من «السور» حتى « الخارجي » ، ويطلق عليها الناس اسم « المدينة » .

لم يكن سامي يسمع شيئاً مما يجري حوله : فأزيز الطائرات ، ودوي المدافع ، وانفجار القنابل تملأ نفسه وتملك عليه مشاعره .

فقد انتقل الى ميادين القتال ، في الجبهة الغربية ، حيث تتطاير الرؤوس كأنهـا فقاقيع الصابون ، وتندك العمائر ، وتنسف المدن وتنهار صروح الحضارة ، في عاصفة من دخان ادكن ، واعصار من رصاص ارعن ، وزلازل من متفجرات عمياء .

وهذه فتاة تشبه اخته ، تخرج الى الشارع عارية ، وقد فاجأتها الغارة وهي تستحم ، وتلك امرأة كزوجته طرحت ارضاً تسيل دماؤها وقد احتضنت رضيعاً يولول ثم يختنق بصراخه المفجع ، يالله! كأن هذا الطفل ابنه « سمير » في شعره الاشقر الجعـدي وعينيه العسليتين الصغيرتين . وهنـا عجوز كأنهـا امه تجرر رجلين سلبها الرعب بقية من نشاط الشباب . تحاول الفرار من الموت ، والموت عند كل خطوة ، وفي كل مكان . وهناك شاب يقف حـائراً بين ان ينجد شيخاً أطبق عليه جدار ، وحسناء اصابتها شظية اسالت من صدرها الدماء .

وتتوالى على سامي الصور ، متتابعة متراصة ، كأنهـا مشاهد التقطتها عدسة من نافذة قطار . ولكنهـا مشاهد حية في خياله تملأ آفاقه رعباً وتهز اعصابه هلعاً ، حتى كأنه يراها بعينيه ، ويسمعها باذنيه .

لم تكن سلم الملجأ الضيقة ، بدرجاتها الخشبية المتقلقلة، ولا ضجيج اللاجئين واحـاديثهم الصاخبة ، ونكاتهم المرحة لتخرج سامي من عـالم مفجع ، حمله اليه مجرد السعي الى الملجأ ، في ساعة عينت من قبل ، وفي ظرف يكفي ان تكون شمسه مشرقة ، كما تشرق في لبنان ، وسماؤه صافية كما تصفو في الشرق ، ليبعث الى النفس بالطمأنينة والى الاعصاب بالهدوء .

ولكنه الملجأ ! الملجأ الذي دخله يوماً مسوقاً بعامل الرغبة في الاستطلاع ، ليرى ما هي ملاجي. مدينة كبيروت، تتيه في ظلال السلم على جاراتها ، وتزهو على اترابهـا ، وتبرز الى البحر في فتنة العروس وجلال الملكة ! هذا القبو الذي تفوح العفونة من اطرافه ويخيم الظلام على زواياه ورحابه، هذا القبر الذي اعد لوقاية الاحياء.

ان تصور هذا المكان ، ومـا يحمل على اللجوء اليه ، كان كافياً لان يفقد صاحبنا وعيه ، فمـا يصحو الا ورئيس الملجأ يلقي اوامره ، بلهجة سكران يعربـد او مجنون افلت من مستشفى « الحازمية » .

— انت يا كريكور وكيل هذا القسم . . . وبوسعك ان تصفع ، وان تلبط . . . وان تطلق النـار ايضاً على من لا يتقيد باوامرك ! أسمعت ؟

وكانت الكلمـات تنفجر بين شدقي الرئيس انفجار الحمم ، فيرسلها ، في رشاش من الاعتداد والكبرياء ، طعنات الى صدور سامعيه ، وصفعات على وجوههم ، وهو واقف كالماشي ، وماشٍ كالواقف ، يهتز حتى تضطرب نظارتاه فوق انفه الافطس ، وتنتفخ اوداجه حتى ليغور رأسه بين كتفيه الغليظتين . والناس من حوله

(1) من مجموعة ليالي محتكر الجاهزة للطبع

سادرون يمدون رؤوسهم دهشة وعجباً ، ويحرقون الارم غيظاً وحنقاً . ولكنهم لم ينبسوا ببنت شفة. فقد عقد ألسنتهم الخوف وخنق كرامتهم الوجل . خوف يستقر في نفس كل منهم استقرار البؤس في نفس الماجن ، يكبته انصرافه الى اللهو ، واستباقه الملذات . حتى اذا اعاد لؤم الرئيس هؤلاء الجازعين الى انفسهم، سيطر عليهم الوجل الكامن تحت ستار من المرح والظرف، وفرض على الناس نفسه، فعمهم صمت المآتم ، وسكون الاموات .

الا امرأة لم تفقدها حراجة الموقف جرأة اكتسبتها بعد طويل اختبار : فتمتمت وكأنها تتحدى الرئيس وجهاً لوجه :

— ليذهب الى ميادين القتال ، ليخاطب الجنود بهذه اللهجة . . . وعندئذ يرى !!

وكأن هذه الكلمات يرسلها صوت ناعم، وسط السكون المخيم قد انسلت من الزحام الى بعض الآذان حتى وصلت الى اذن « الرئيس » ، كرصاصة تنطلق من فوهة رشاش . فالتفت نحو سامي، وكانت المرأة بجانبه وصاح : — ماذا تقول ؟

فاضطرب الشاب اضطراب الرجل يؤذى في كرامته مرتين ، ويطعن في صميم نفسه طعنتين . وما راعه الا صوت ، لا يخفي تهدجه رقته ، يتعالى ويقول:

— نعم ! اذهب الى ساحات القتال . . وخاطب الجنود بهذه اللهجة لترى مصيرك !

ثم يعقب ذلك صوت آخر يتوعد غضوباً ، واذا بصاحبه يرد الصفعة الى الوجه الناعم بصفعة اشد، ترن رنين كرة من رصاص ، ألقيت بعنف على البلاط .

وتدوي صفارة الانذار ، معلنة ختام التجربة . ويخرج الناس من هذا الملجأ واجمين ، يلوك بعضهم هذه الكلمات : — يا له من وحش لقد صفع المرأة !

ويرتقي سامي درجات السلم وثباً ، يستخفه سرور عجيب ، وهو يناجي نفسه :

— يا لها من امرأة ! لقد ألقت على هؤلاء «الرجال» درساً بليغاً !

١٩٤٠ رشاد المغربي دارغوث

انشودة الروح

عن الشاعر الانكليزي « كتس »

•

نعم !! سأكون كاهنك الاعظم وأبني لك معبداً
في فكري . وفكري بقعة لا يمكن ان يطأها قدم

*

هناك الافكار متفرعة كما تتفرع الاغصان
تنمو وتزداد مع الالم اللذيذ !!

*

وستأتم في الهواء عوضاً عن اشجار الصنوبر
هناك بعيداً . . . حول شجرات الايك الملتفة المتشابكة

*

حيث الطيور الصغيرة تتنقل على قمم الجبال الواسعة
وحيث تمر الرياح الغربية كما تمر النحلات والطيور والجداول !

*

وعلى النبات تتكئ عرائس الغاب متدحرجة الى الهجوع في اغفاءة عميقة
وفي وسط هذا الهدوء الشامل سأبني لك معبداً مقدساً من الورد !

*

هناك تحت عريش من اكاليل الازاهير الفكرية
مع الطيور والاجراس والنجوم المجهولة الخفية !!

*

ومع كل جنان يستطيع ان يظهر
ويربي الزهرة التي لا تزال جنيناً في ضلوع الحياة

*

هناك . . سيكون لك كل ما في الحياة من لذة ناعمة
والفكرة الغارقة في الظلال تستطيع استمالتك بالحنان

*

المشعل لامع ، والنوافذ مفتوحة في الليل
لا تسد الطريق في وجه الحب الدافئ . !!

الحلة — العراق   محمد شرارة

ماذا يقال عنا ؟

هنري بيريس يتحدث عن مصطفى فروخ

نشر المستشرق الفرنسي هنري بيريس كتاباً قيماً عن الفن العربي في اسبانيا نقتطف منه القسم التالي الذي يتكلم فيه عن الاستاذ الفنان مصطفى فروخ وعن كتابه « رحلة الى بلاد المجد المفقود » تاركين النصوص التي استشهد بها من كتابه المنشور .

... وأطل على العالم الفنان الاستاذ مصطفى فروخ بالكتاب الذي طال ارتقابنا له من عربي شاهد اجمل آثار الفن العربي في اسبانيا وتحدث عنها حديثاً ممتعاً . فهو عندما قام برحلته صيف عام ١٩٣٠ كان في الخامسة والعشرين من سنيه ، فهو اذ ذاك في ريق العمر الا انه يتمتع بثقافة فنية شاملة ، وان من يتتلمذ اربع سنوات في معهد الفنون الجميلة بروما ويتابع بعد تخرجه منه دراسته الفنية في باريس حيث استطارت شهرته ونالت رسومه في عدة معارض كبرى الثناء المستطاب وقرظتها « مجلة الفن الحديث » وغيرها لخليق ان يظفر كتابه هذا بالتقدير الحق . يقول فناننا نفسه في الصفحات الاولى من كتابه ان الاندلس هي للشرقيين بلاد احتلها العرب واستوطنوها اجيالاً فأوحت اليهم بالشعر الرقيق والادب الحي، بلاد الآثار الفنية الجامعة بين الضخامة والدقة والتناسق جميعاً فلا غرو اذن ان يستعيد ماضي شبه الجزيرة هذه بصفته عربياً مسلماً ، ويستعرض لا تاريخ البلاد السياسي وانما تاريخ الفن العربي فيها ويستهله بهذا الدفاع المجيد : « يقولون ان العرب لم يبدعوا فناً خاصاً بهم وانهم اقتبسوا عناصره من الامم السالفة ، وانا اجيب ان المدنيات كافة هي وليدة بعضها وان لا جديد تحت الشمس، فقد اكتسح العرب العالم واحتكوا بحضاراته فكان لا بد لهم من التأثر بها كما تأثر الاغريق من قبلهم بالمصريين والرومان بالاغريق . الخ . . » ونرى ان نقول ان لكل قطر من الاقطار العربية فناً يختلف عن القطر الآخر بزاياه ومدارسه الخمس هي السورية والمصرية والمغربية والفارسية والتركية . والفن الاندلسي نفسه تأثر بالمدارس الخمس التي ذكرتها وتاريخه ينقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية :

١) عصر الفتح والنهضة .

٢) عصر الانتقال .

٣) عصر الانحطاط او السقوط .

فالعصر الاول ابتدع « جامع قرطبة » والثاني « القصر » Alcazar والثالث الحمراء في غرناطة ، وتقسيم الفن على هذا المنهج له مزية الدقة . والاستاذ فروخ يظل في حديثه كله عربياً، بل وطنياً والوطنية تتجلى في غضون كتابه بوضوح .

وقد اتسم كتاب الاستاذ فروخ ، كما اتسمت كتب السيَّاح من قبل ، بميسم الاقليمية فهو لبناني وسوري وشأنه في حديثه المقسم بالطابع الاقليمي شأن الاستاذ محمد كرد علي ان في الناحية الهندسية أو في اللباس او في الموسيقى . فالقرى التي مر بها بعد مدينة « دل كامبو » يذكره قرميدها بدمشق ، و« آفيلا » بالسويدا من ناحية البناء من جهة ، ولحجارتها السوداء الصلدة من جهة اخرى ، وتذكره طليطلة بدمشق او بصيدا في ابوابها ذات القناطر وقد ضربت بالمسامير الضخمة ، وقبة القديس نقولا في قرطبة مسدسة الاضلاع فهي سورية خالصة ومنازل قرطبة تبدو كأنها نسخة طبق الاصل عن منازل الشام ، والحاكي يهتف بلحن اندلسي فيخاله الاستاذ فروخ لحناً بغدادياً او سورياً واغاني بائعي المرطبات حملته على تخيل نفسه في سوق البزورية بدمشق وحتى « البنطلون » القرطبي – وهو متسع من اعلاه وضيق من اسفله يراه أشبه ما يكون بالسروال الشامي .

وفرّوخ على اهتمامه الخاص بالفن لم ينس ان يلاحظ اخلاق الاسبان ويدرس نفسياتهم، فهو يقول ان لون القوم الحنطي والعيون السود العربية والابتسامة العذبة تطفو على الثغور وحسن الحفاوة بالغريب ، والكرم هي من بقايا ما ورثوه عن العرب وهو بعد لا يستنكف ان يقول كذلك ان التهاون والاتكال الشرقي المشهور هما – على ما يعتقد – من « تركة » العرب كذلك . وهو يسجل ايضاً ان الشقاء والبؤس منتشران في الاندلس ويقول في ذلك « ان اعظم المؤرخين وفيهم اهل الاندلس انفسهم اتفقوا على الرأي القائل انه منذ ما رحل العرب عن اسبانيا رحلت معهم اسباب النعم وتصرم عهد الازدهار وحل محله البؤس والدمار .

وهو يأسف ان يرى معاهد الآداب والعلوم في العهد العربي الزاهر قد استحالت مقاهي تعج باللاعبين وبالشاربين وكثير من النائمين ايضاً .

وان ثقافته الشاملة في الفن جعلت لكتابه ميزة لا نغالي اذا قلنا انها مبتكرة في ادب الرحلات الذي دبجته لنا اقلام السيّاح من الشرقيين .

فالبطنوني مثلاً في وقفته يتأمل باعجاب مفاتن الحمراء لم يعدُ حد القول :

« يا لفقر الالفاظ ! ويا للعجز في الابانة عن مدى الاعجاب ، ان المرء ليشعر جيداً ان اللغة الفنية لدراسة الفن العربي يجب ان تُخلق بكاملها » .

وهنا تتجلى موهبة الاستاذفروخ وثقافته فقد عرف تحت تأثير اللغة الفرنسية وباعتماده على ألفاظ عربية قديمة كيف يستحدث بياناً يعبر عن الفن بجلاء ودقة، وهكذا استطاع –حيث عجز سواه– ان يمد الادب العربي بافكار سامية تحمل قارئها على الاستمتاع بروعة الفن الساحر .

ومتحف « برادو » في مدريد لم يستمل البطنوني ولا أثار فضوله ، ولكنه لم يستلفت انظار الفنان الشاب اليه فحسب بل استهواه فوقف طويلاً يتأمل على الخصوص لوحات فيلاسكيز وميرللو وجويا وريكو وريبيرا . وفيلاسكيز وميرللو اوحيا اليه الصفحات الماتعة حقاً من كتابه الطريف ، تلك الصفحات التي نمت عن ميوله وعن قدرته كفنان وكأديب .

والحمراء ، كتتويج لهذه السياحة الفنية ، تنتزع من صدره هتاف الاعجاب الاخير : « هذا الاكروبول العربي المجيد » .

وفناننا قد زار كل غرف الحمراء وابهائها زيارة دارس شغوف بالفن الساحر ووقف امام كل قسم من اقسامها وقفات طوالاً يلمس فيها الجمال الكامل ، كما يقول . الا ان ساحة الاسود هي فوق ما كان يتخيل وان رهبة الاجلال والتقدير تتملكه فيقول :

« ان العبقرية العربية ملكت الخيال ومثلته في الحمراء حقيقة خيالية ، انها حلم ، انها نور وآمال ، ولهذا تجد الحمراء مع ما هي عليه الآن من خراب لا تزال أجمل قصر في العالم لان فيها سحراً ونوراً وفي جوها تنتشر رائحة الحب والحياة والهناء . »

وقد قضى هناك الساعات الطوال وكأنها ثوان معدودات وقد لمس الجدران بانامله ووضع يديه على الاعمدة ليتأكد من انه ليس في حلم وانه يحاول ان يتعرف من أية مادة نورانية صنعت هذه كلها حتى غدا لها ذلك السحر ، ولطالما عاد الى المكان نفسه وكان يجد في كل مرة مشهداً جديداً يأخذ بمجامع قلبه ، فهو لم ير قط مثل هاتيك العجائب ولم يشاهد من قبل ما شاهد في الحمراء من سحر وجمال فاتن حتى ليخيل اليه كما يقول انه في نعيم مقيم ، في جنة تجري من تحتها الانهار . وهو يصف المميزات الاساسية لهذا الفن فيقول : « من مميزات الفن العربي الشعر والرقة والموسيقى في الخطوط فهو يجمع البساطة مع الفخامة والعظمة مع اللطف » . ثم يعود فيشمل شعوره وتأثير الفن العربي في نفسه في هذه العبارة الموجزة القائلة : « ان لا آثار روما ولا معابد اثينا ولا قصور مدريد ولا عجائب باريس تفعل في النفس فعل فنون الحمراء » .

وكل ذلك ينم عن الاعجاب الخالص بمفاتن الفن العربي وجماله الاخاذ ، وهو لا يكتفي كسواه بالقول : « كم هذا جميل ولله ذاك ما اروعه ! » بل يحلل بدقة شعوره واحساساته ويسعى ليجعل قارئيه الشرقيين يدركون مم تتألف عناصر الجمال في الفن رسماً كان او حفراً او نقشاً ، ومما لا يجحده احد او يكابر فيه انه قد جعل مؤلفه في هذه الناحية فذاً . وهذه المحاولة جريئة في بابها من غير ريب والشرق لم يكد يفتح عينيه على الدراسات الفنية وتحليل الاحاسيس بروعة الفنون . ولذلك قد يجد الشرقي فناننا الشاب غامضاً بعض الغموض عندما يحدثه عن الفن بلغة شعرية موسيقية أو عن مدى تأثير الفنون في نفسه خصوصاً لدى تأملاته الطُرَف الهندسية في قرطبة واشبيلية والحمراء وانعكاسات الاضواء والظلال في شتى نواحيها وما ينشأ عنها من روعة ورواء لتثير في قلب المدرك المثقف افانين من الاحاسيس ونحن بعد ، نحسب ان الفضل في ايقاظ الشعر الروائي الذي كان غافياً في قلب الاستاذ مصطفى فروخ يعود الى مطالعته لآثار « هنري رينيو » و« كلود فارير » بصورة خاصة .

ثم ان جمال الطبيعة في الاندلس قد استهواه اكثر مما استهوى البطنوني من قبله ، ولذلك فقد اجاد في وصف المواقع والمناظر الطبيعية الخلابة ، فهو يقول في الحمراء مثلاً :

« انها اروع تحفة فنية بنيت في اجمل موقع جمعت الجمال والكمال ولذلك فهي فريدة نادرة تمركزت على قمة الهضبة فاشرفت على غرناطة وسهولها الشاسعة الخصبة وهي بموقعها هذا تمثل منظراً وحيداً من نوعه ، فابراجها البارزة تحيط باطراف الهضبة كافة فتظهر للناظر كأنها تاج ذهبي على مفرق حسناء تنتهي قمته بزرقة السماء ويغوص اسفله بخضرة مخضلة » . فقد كان هنا واصفاً واقعياً في حين انه كان في الصفحة التي دبجها في وصف طليطلة شرقي الخيال روائيه .

واننا لننوه بصورة خاصة بفصوله الاخرى ولا يسعنا الا ابداء

جولة الأديب في شهر

المؤتمر الطبي العربي السادس في لبنان

عقد في بيروت بين ٨ – ١٢ تموز الماضي المؤتمر الطبي العربي السادس. وقد افتتحه فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية قائلاً: «افتتح المؤتمر الطبي السادس وان لبنان العربي المضياف يرحب بضيوفه ابناء البلاد العربية الشقيقة ويرجو لهم طيب الاقامة في ربوعه».

وبدأ الاجتماع فتكلم الامير مجيد ارسلان وزير الصحة اللبنانية ورئيس المؤتمر الفخري ثم توالى على الكلام الدكتور علي ابراهيم باشا رئيس المؤتمر باسم مصر، والدكتور احمد قدري مدير الصحة في سوريا عن الاطباء السوريين، والدكتور احمد سامي عن السودان، والدكتور يوسف عز الدين عن شرق الاردن، والدكتور محمود طاهر الدجاني عن فلسطين، والدكتور عبد الهادي الباجهجي عن العراق والدكتور يحي نصري عن المملكة العربية السعودية والدكتور فؤاد غصن عن لبنان.

وقد القيت محاضرات علمية عديدة، فكانت الجلسة الاولى في قاعات الكلية الفرنسية في ثالث ايام المؤتمر فتناول الاطباء في القاعة الاولى موضوع التدرن الرئوي، وفي القاعة الثانية «حمى الملاريا والاميبا» وفي الثالثة محاضرات منوعة، وفي الرابعة طب الاسنان. ثم عقدت الجلسة العلمية الثانية في جامعة بيروت الاميركية في رابع ايام المؤتمر فدارت المحاضرات في القاعة الاولى حول موضوعات مختلفة، وفي القاعة الثانية عن المصايف والمشاتي، وفي الثالثة طب الاسنان، وفي الرابعة ترجمة المصطلحات الطبية الى اللغة العربية، وقد تحدث في هذا الموضوع الاخير الدكتور عبد الرزاق السنهوري بك، مصر، عن المصطلحات العلمية للحيوان والنبات، هل تترجم الى العربية ام تبقى على اصلها؟ والدكتور سليم ابو سليمان، زحله لبنان، طريقة ترجمة المصطلحات النباتية الى اللغة العربية.

وقد زار اعضاء المؤتمر بعض مستشفيات لبنان وزاروا معرضاً للادوية اقيم في دار الكتب اللبنانية. ومن الابحاث التي شغلت حيزاً من عمل المؤتمر دراسة موضوع تكوين اتحاد دائم للجمعيات الطبية في جميع البلاد العربية.

وكان أهم ما قرره المؤتمر ما يلي:

١ – رجاء المؤتمر الى الجمعية الطبية الاميركية والجمعية الطبية الملكية البريطانية للتوسط لدى حكومتها لتمد الشرق العربي بما يحتاج اليه من ادوية، وتسهيل مهمة الاطباء لمقاومة الامراض والاوبئة المنتشرة فيه.

٢ – ان يعقد المؤتمر السابع في دمشق بناء على دعوة الحكومة السورية.

٣ – الطلب من حكومات الدول العربية اشتراك الاطباء المحليين مع البعثات الطبية الاجنبية لتقديم المعلومات المحلية ذات القيمة، وضمان استمرار اعمالهم بعد عودة البعثات الطبية الى بلادها.

٤ – دعوة البلاد العربية التي لم تشترك بالمؤتمرات السابقة الى المؤتمر المقبل وهي: طرابلس الغرب، تونس، الجزائر، مراكش،

الاعجاب والتقدير لوصفه الطريف الشائق لغروب الشمس لدى وصوله الى قرطبة.

وتحليل الاثر البالغ في نفسه يتجلى لنا اكثر وضوحاً في سطوره الموجزة التي لخص فيها نهاية بني نصر في غرناطة.

وان الروح الشعرية الفنية نفسها ليست الا احدى المفاتن المبثوثة بسخاء في غضون كتاب فناننا الشاب، وان كل سطر من سطوره لينبض بالعاطفة الجياشة والشعر الغنائي والروائي في بعض الاحايين، وقد عرف بذلك كيف يحتفظ بألمعيته في اصدار آرائه الحاسمة في دراسة وتحليل الآثار الفنية بكثير من الحذق والذكاء مستخلصاً منها لبني وطنه عظات قيمة.

وسينظر الشرق بعد اليوم الى اسبانيا بفضل كتاب الاستاذ فروخ بعيون غير العيون التي كان يراها بها من قبل.

والخلاصة فان مؤلف الفنان مصطفى فروخ يكون وكتابي البطنوني واحمد زكي باشا الاثر الانضر والاروع من كل ما كتبه عن اسبانيا العرب منذ ثلاثة عصور حتى اليوم.

هنري بيريس

اليمن .

وكان للادب في هذا المؤتمر الطبي حظ وافر فلم تكن تخلو جلسة من جلساته من الخطب الانيقة، التي اظهر فيها الاطباء براعتهم الادبية وحسن تعبيرهم عن العواطف الاخوية المتبادلة ، ودقة تصورهم للشعور العربي الفياض، ففي كلمات الترحيب التي القيت في حفلة الافتتاح وحفلات التكريم مواقف رائعة ومقدرة قوية على امتلاك ناصية الكلام ، وهذا الوصف الاخاذ لجمال لبنان تنفرج عنه افواه الاطباء ، يدفع مستمعاً الى ان يقول لي : ارأيت الى الطبيب الجراح كيف تؤثر فيه مناظر لبنان فيفيض خطابه غناء ورقة وحساسية ، وهو الذي يلعب المشرط في يده ، ويذهب طولاً وعرضاً على جسم المريض المتألم المعذب ... دون ان يكون له أثر في نفسه ...

قال لي مجاوري هذا ، بينما كان الخطيب يتحدث عن جمال لبنان ، وكيف كلل رأسه بياض الطهر واشاع في جنباته رقة الشعور وصلابة المبدأ ... بأسلوب سهل ولكنه بليغ ، وساذج ولكنه مؤثر .

ولعلك تستطيع ان تتصور الى اي مدى يبلغ التأثير بالمستمع عندما يعزف النشيد الرسمي لكل بلد عربي قبل ان يلقي مندوب ذلك البلد كلمته، ويأتي دور فلسطين، ولا يستقبل مندوبها بنشيد، فيفتتح كلامه : ليس لفلسطين نشيد ملحن تسمعونه قبل كلمتها ولكنني اعرف لها نشيداً في ضمير كل عربي يفيض لها بالحنو وشديد العطف ...

واذا كان الاطباء قد غمرهم جمال لبنان فتغنوا به في خطبهم وكلماتهم . فكيف اذا اشتمل هذا المؤتمر على اعضاء هم اقرب الى الادب منهم الى الطب ، فقد كان بينهم الدكتور حسن ابراهيم حسن عميد كلية الآداب في جامعة فؤاد ، والدكتور منصور فهمي مدير دار الكتب المصرية والاستاذ علي الجارم الشاعر المعروف ، او شاعر المؤتمرات الطبية كما اصبح لقبه اخيراً ... الذي القى قصيدة ضافية كانت درة المؤتمر .. وكانت حديث الاعضاء والصحف مدة طويلة ...

امتازت هذه القصيدة ، بما يمتاز به شعر الجارم : قوة في الديباجة ، وقبس من الشعر العربي الرفيع ، وحديث عن النفس محبب ...

القاها في حفلة الافتتـــاح ، فانقلب المؤتمر الطبي الى سوق عكاظ . تصفيق من كل جانب ، كلمات الاعجاب تردف كل بيت .. والجارم يزداد حماسة واندفاعاً ، ويشتد تمثيلاً وتصويراً للمعاني بيديه وعينيه وطربوشه ايضاً ...

بدأ قصيدته بمقدمة غزلية ودع فيها شبابه « الذي ذبلت نضارته على الاقداح » والذي يبيع عمره كله لمناه ولاريحه :

ايام اوتاري تغرد وحدها ... وتكاد تسكر في الزجاجة راحي
دوجين لم يجد الفتى مصباحه ... وابان اسرار الهوى مصباحي
الفلسفات وما حوت في نظرة ... من لحظ ساجيـة العيون رداح
تغري الهوى وتصده لمحاتها ... فيحـار بين تمنع وسماح
والنظرة البهاء افتك بالفتى ... من كل واضحة المرام وقاح
فخذوا اليقين ونوره لعقولكم ... ودعوا شكوك الحب للارواح

ثم وجه كلامه الى القطار الذي نقله الى لبنان ، على طريقة الشاعر الجاهلي عندما تحمله ناقته الى من يحب ... وينحدر في نهاية هذا المقطع حتى يظن نفسه انه لايخاطب الا اطباء وجراحين. فاسمعه يقول :

النبع خمر والحدائق نشوة ... والجو من مسك ومن تفاح

ومن التفاح انتقل الى صلة لبنان بالشعر ، فسواجع الدوح تعلمت منه الهديل ، ولبنان هو دوح الشعر ، الشعر الذي له فعل السلاف ، وله نضير الفاظ كأزهار الربى ..

وتحدث بعد ذلك عن لبنان في اشخاص ابطاله الصيد الذين مشوا الى الموت وقهروا الزمان ، وصابروا عسر الحياة ، او الذين نزحوا عن وطنهم في سبيل العلاء . وكثر في هذا المقطع ابيات الحكم :

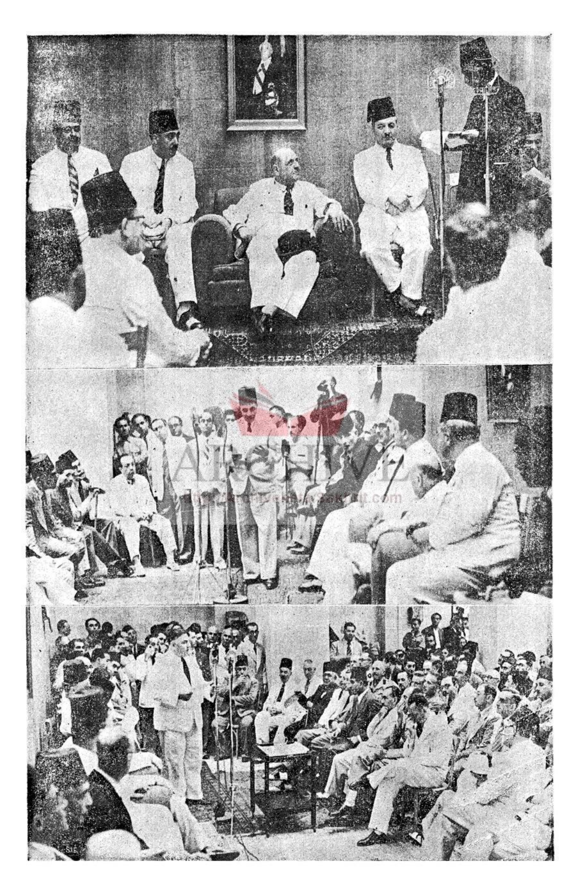
- ...... ولن تضيع كرامة ... للحق بين اسنـة ورمـاح
- ومن الحفاظ المر ما يعيي الفتى ... ليست تكاليف العلا بمزاح
- والدهر اكذب من نبي سجاح
- والنفس ان عظمت يضيق لسعيها ... صدر الفضاء برحبه الفياح

للناس ناحية تلم شتاتهم ... والعبقري له الوجود نواحي

وبالرغم من توفيق الشاعر في اثارة اعجاب الجماهير ، وفي اضطرارهم التصفيق له ، فان كثيراً من القوافي كانت قلقة ليست تطمئن في مكانها والادلة تعترض القاري، بنفسها ...

ثم انتقل الى لبنان وأثره في اللغة العربية وصور كيف صان لغة الضاد ، هذه اللغة التي لوحها الهجير « فلم تجد الا ظلاله نجعة الملتاح » ويلقى شاعرنا لبنان ، وهو الفردوس ، فيطرح اتراحه عند

يبدو على الصفحة المقابلة بعض مشاهد حفلة افتتاح المؤتمر الطبي . في المشهد الاول : الدكتور علي ابراهيم باشا يلقي خطابه ويبدو فخامة رئيس الجمهورية وعن يمينه صبري بك حماده رئيس المجلس النيابي ، فالامير مجيد ارسلان وزير الصحة وعن يساره دولة رياض بك الصلح . وفي المشهد الثاني الدكتور يوسف عز الدين مندوب شرقي الاردن يلقي خطابه وفي المشهد الثالث الدكتور عبد الهادي الباجه جي مندوب العراق يلقي خطابه .



اللقاء ، ويلهو ما شاء له ان يلهو ، ويشهد فيه الحور ، ويطاوع صبابته في نجلائهن ويدافع لحاظها بالغزل الحنون ، ويبعث اناته ، ولكنها تتجاهل لغة الغرام . . . فلم يبق منه الوجد الاحشاشة تؤذن بالرواح لولا التعلل والامل . . . ويلتفت هنا الى الدكتور علي ابراهيم باشا قائلاً :

اشكو وما الطب الحديث براحم شجوي ولا متسمع لصياحي
هل بين مؤتمر الاساة مجرب شاف لادواء الصبابة ماحي ؟
والطب لا يصل المدى ان لم تصل جدواه للارواح والاشباح

وهكذا امكنته براعة الانتقال من الحديث عن المؤتمر واطبائه الذين يبذلون نفوسهم في سبيل الانسانية ، كما فعل اكثرهم عندما هاجمت مصر بعوضة الملاريا ، ويوجه كلامه الى الاطباء يدعوهم الى الاصلاح والاقتداء برئيسهم ويقول :

وانفوا عن الطب الرطانة انها نمش يعيث بوجهه الوضاح
كم في حمى الفصحي وبين كنوزها من مشرقات بالبيان فصاح
ما انكرت امم لسان جدودها يوماً وسارت في طريق فلاح

ثم عاد الى لبنان مرة اخرى وقال :

الارز فيك ونخل مصر كلاهما اخوان في الاتراح والافراح
والنيل منك فلو بكيت لغادح غمر الشطوط بدمعه النضاح

فهذه القصيدة الكبرى ، التي نالت استحساناً شاملاً من المستمعين ، تخفي روحها الطيبة وحماستها النبيلة وتحليق اقسام منها ، بعض الهنات .

وكم كنا نود ان يقوم شاعر من لبنان ، ومن اكثر الشعراء في لبنان ، ويرد الى الاستاذ الجارم سمو شعوره ونبل عاطفته ويتغنى بالعروبة التي تربط لبنان بأخوته ، بعد ان ازيح الستار الذي كان يحاول ان يغطيها .

ولا بد لنا ، ونحن نتحدث عن الادب في المؤتمر الطبي الا ان نذكر الادب الشعبي الذي كان له شأن في حفلات المؤتمر ، فالاستاذ عمر الزعني الشاعر الشعبي الفكه كان يتحف الاعضاء في الحفلات بمقطوعاته التي تتسم بطابعه الخاص وروحه النقدية المرحة ، او بقصائده التي يصف فيها جمال لبنان وغاباته ومياهه ، فكان خير شاعر يجيب على الاستاذ الجارم بعد ان سكت شعراء الفصحى . .

وكذلك لم يقصر شعراء الزجل اللبناني ، فقد رحبوا بالمؤتمرين في حفلة زحلة وغنوا الاخوة والتفاهم ، وصوروا جمال الوديان وروعة الجبال ، فاجابهم الدكتور سعيد عبده بزجل مصري جميل .

وهكذا شغل الادب مجالاً واسعاً من برنامج المؤتمر الطبي العربي السادس . . ولا يزال الادباء العرب منذ عشر سنوات يفكرون بعقد مؤتمر لهم . . .

تطلب الاديب

*

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضي
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات مطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	السيد عبد السلام السباعي
	«	السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	السيد حنا نصره
	«	عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجلي
طرطوس	«	الاستاذ صالح علي
حلب	«	السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج‌الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل. س. في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ ل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم



الفن ومذاهبه في الشعر العربي

للدكتور شوقي ضيف – ٢٨١ صفحة – لجنة التأليف والترجمة والنشر – مصر

يحتاج الشعر العربي قبل كل شيء، الى «حماسة» جديدة يختارها شاعر ذو ذوق او عالم ناقد . وقد سبق ان قام بهذا العمل طائفة من الشعراء والعلماء بينهم المفضل الضبي وابو تمام الطائي والبحتري ومحمود سامي البارودي، احد وجوه النهضة الحديثة. الا ان حماسة ابي تمام ظلت انفس المجاميع الشعرية على الاطلاق. ذلك لان الشاعر الكبير قدم الاعتبار الفني على كل اعتبار ، وهو يختار قصائده فلم يستند الى شهرة الاسماء وحدها . والذي نقدره انه انما اختار القصائد ثم صنفها وادخلها في ابواب، فظلت الجودة الفنية هي عمدته الاولى .

ولكن ابا تمام، يوم جمع حماسته، لم يكن في ميسوره ان يطلع على الشعر العربي كله . فقد كان مسافراً احتبسه الثلج في احدى القرى ، ووجد لديه مكتبة فانفق الوقت بان تناول منها ما استجاده مما وقع عليه نظره . ثم ان الشعر العربي لم يقف عند حصر ابي تمام ، فقد اقبل من بعده بمواسم خصبة لم تنقطع الى اليوم .

وكل هذا انعود الى حيث بدأنا، فنقول ان الشعر العربي يحتاج الى « حماسة » جديدة ، تكون عمدتها الاولى الجودة الفنية .

ومن ثم يصبح من قبيل الدراسة العلمية، ان يتصدى الباحثون للشعر العربي جملة فيطلقون عليه الاحكام . وما دام الشعر العربي لم يجمع كله ، او اكثره ، وما دامت هذه الحماسة الوافية ، المبنية على الجودة الفنية ، لم تصنع بعد ، فان كل دراسة للفن ومذاهبه في الشعر العربي ، محتوم عليها ان لا تتعدى طور ملاحظات يرسلها الناقد ارسالاً ويستند فيها الى المشهور المتداول . هذا لا يكفي حين يكون الموضوع كالشعر العربي لايزال الكثير من جيد مادته مزوياً عن الابصار .

ولست اقصد ان اضائل من قيمة الجهد الذي بذله الدكتور شوقي ضيف في مؤلفه : « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » ولكني قصدت ان انبهه الى مقدمة حيوية من مقدمات الموضوع ، وهي ان يكون قد اطلع على الشعر العربي كله او اكثره ، وان يكون قد عني باختيار اجود ما في هذا الشعر من الناحية الفنية فلست اتردد في القول انه لم يف هذا الشرط الاساسي وفاء علمياً . فهو لا يزال يتتبع الاسماء الشهيرة مع انه يدري ان الشهرة ربما قامت على اسباب لا تمت الى الاعتبارات الفنية الصرف .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى نجده يقف وقفة طيبة عند ملاحظة الجرجاني لغموض التعابير في النقد الادبي، ثم يقع في القصور ذاته . وربما اكتفى احياناً بسؤال ، او بأمر ، او يتعجب ، برهاناً على رأي من آرائه ، فيقول مثلاً في التعليق على بيت زهير :

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد للفم !

يقول : « بل انظر اليهن في وادي الرس وقد وصلن اليه وصول اليد للفم ، فانك ترى منظراً عجباً » . وسيتحمل الدكتور ضيف من احد القراء ان يقول له : انني لا ارى منظراً عجباً قط . وأي منظر عجب في ان يشبه شاعر وصول ركب احبائه الراحلين الى مدخل احد الاودية بوصول اليد للفم ؟

على ان هذه وامثالها تبدو هنة هينة اذا رحنا نطالب المؤلف ان يعمل بروح ملاحظة الجرجاني فيحاول تخلصاً من غموض التعابير في النقد الادبي . ومما يزيدنا حجة على المؤلف انه يبحث موضوعه في ضوء جديد ، ويستخدم تعابير كثيرة كان يجب عليه ، قبل كل شيء ، ان يبدأ بتحديدها وضبطها . من ذلك انه يذكر الصنعة والتصنيع ، والتصنع والتلفيق ، ويصوغ معظم احكامه ، في معظم كتابه ، بتعابير تدور فيها هذه الالفاظ وتدور عشرات المرات بل مئاتها ، وكذلك لا نجد من الضروري ان يقيد هذه الالفاظ بمعاني واضحة في ذهن القارىء .

ثم ان الدكتور ضيفاً اكتفى بان لاحق في كتابه التقسيم حسب العصور . وقد يكون هذا صواباً اذا كان المقصود دراسة الشعر من حيث الاعتبارات التاريخية . على ان الدكتور ضيفاً — كما يُستدل من عنوان كتابه — قصد دراسة الفن ومذاهبه في الشعر العربي . ومن هنا كان عليه ان لا يكتفي بملاحقة التقسيم حسب العصور . من هنا كان عليه ايضاً ان يركز دراسته على التقسيم الفني . وأبسط ركني هذا التقسيم — كما اجمع النقاد قديمهم

وحديثهم — هما : المبنى والمعنى ، او العبـارة وما وراءها ، او الشكل والجوهر ، او القالب والمضمون . فاذا حكم حكماً على الشعر العربي في عصر ، او على الشعر العربي بجملته ، بين حكمه : أعلى المبنى هو أم على المعنى ، أعلى العبارة أم على ما وراءها الخ . . ويدخل في المبنى — طبعـاً — اللفظ والتركيب والوزن والوقع والموسيقى . ويدخل في المعنى ، الموضوع والفكرة والعاطفة والصورة . ولو ان المؤلف فعل ذلك لجـاء كتابه اكثر استتماماً لشروط الوضوح والدقة ، ولظهر له الشعر العربي في مراحل تاريخه على وجه أجلى وألمع .

ومن الانصاف للدكتور ضيف ان نقر له بانه شاء خروجاً عن الآراء الموروثة ، ووفق الى بعض نظرات جديدة ، شأنه في الفصل الذي عقده عن ابي تمـام ، فهو خير فصوله على الاطلاق . الا ان الكثير مما في كتابه مطبوع باحكام بعض المستشرقين ، وباحكام الدكتور طه حسين . ومسكين المتنبي ! فقد كان تأثر الدكتور ضيف باستاذه الدكتور طه حسين عظيما حتى كاد « يعدمه العافية » غير ان المتنبي انتقم لنفسه . ولست ادري هل شعر الدكتور ضيف بانه في كل ما كتب عن ابي الطيب ، لم يكد يستشهد له ببيت لم ينظمه في صباه او مطلع نجمه الشعري ، وكان حق المتنبي عليه ، وحق العلم ، ان يرجع الى شعر الرجل بعـد نضجه في بلاط سيف الدولة وعند كافور ، وانا واثق ان هذا الذي قاله الدكتور ضيف عن شعر ابي الطيب ، وهو ينظر الى قصائد صباه ، لا يصح مطلقاً على شعر رجوليته .

اما الفصل عن ابي تمام فسيسمح لي المؤلف ، على اعجابي به ، ان اقول له انه احس بجديد لدى الطائي الكبير ، غير انه لم يحسن عنه العبارة . فميزة ابي تمام هي ان الاكوان في متناول شاعريته لم تبق مفصولة او معزولة بعضها عن بعض . واقصد بالاكوان الكون الجماد والكون الحي ، والكون الحسي والكون المعنوي . فقد رآها شاعرنا كوناً من خلال كون ، وكوناً مرآة لكون . رآها متشابكة ، بعضها مؤثر في بعض ، متأثر ببعض . وكان استاذه في ذلك مسلم بن الوليد — صريع الغواني . يقول مسلم في وصف جبل :

تمشي الرياح به حسرى مولهة حيرى تلوذ باطراف الجلاميد

فمفهوم من هذا البيت ان الشاعر رأى كوناً من خلال كون ، او كوناً مرآة لكون . فالرياح الهابة وصدى صوتهـا الكئيب ، وتعرجها في هبوبها ، اسباب حملت مسلماً على ان « يؤنسن » تلك الرياح (أي : يجعلها انساناً) ، فيضفي عليها ما يضفي على الانسان من الحسرة والوله والحـدة والتشبث باطراف الصخور ، في جبل وعر يتسلقه .

وقد ظل ابو تمـام حتى فاق استاذه مسلماً في هذا المنحى . ولنقتصر هنا على احد اختراعاته في وصف الوجه الوقح ، قال :

من كل مهراق الحياء ، كأنما غطى غديري وجنتيه الطحلب !

ففي « مهراق الحيـاء » تعبير يستوقف . ثم تلي رؤية الوجه الوقح من خلال مستنقع نتن كساه الطحلب . وهي انتقالة بديعة من الكون البشري الى الكون الطبيعي جماداً ونباتاً .

ولا شك ان الدكتور ضيفاً وفق في المقابلة بين الطبـاق عند ابي تمام والطبـاق عند البحتري . فطباق البحتري متناقضات من كلمات متعارضة المعنى ، يستخرجهـا من حافظة واعية او من القاموس ، ويرصفها « وصلاً » الى جانب « صد » ، و« قرباً » الى جانب « هجر » . على اني كنت اريد الدكتور ان يقول ان طباقات ابي تمام هي مشاكل يطرحها من متناقضات الحياة . ثم ان ابا تمام عميق حقاً حين يحس بانقلاب الضد الى ضده وبانبثاق النقيض من نقيضه في الحياة ، كقوله :

لم تعطني الايام نوماً مسكناً الذ به الا بنوم مشرد

وكقوله :

رب خفض تحت الثرى ، وهناء من عناء ، ونضرة من شحوب !

وانا بعد موافق الدكتور ضيف على النتيجة التي اصر عليها ، وهي ان شعراء العرب اليوم يحتـاجون الى اتصال بروائع الشعر العالمي ، ويحتاجون الى لقاح من لقاحها يعينهم على الانعتاق وحمل الصنع الشعري الى آفاق جديدة وصبه في غير القوالب الموروثة . الا اني اراه قسا في مجمل الحكم على الشعر العربي القديم ، ولم يعرف له قيمته في تصحيح العبارة وتقويتهـا ، كما اهمل في التفاتته الى الشعر الحديث بوادر الانقلاب التي نجدهـا في بعض الشعر اللبناني الناشيء ، وان يكن هذا الشعر لا يزال قلقاً مضطرب الخطى .

ولكن مهما يكن من شيء ، ففي كتاب الدكتور ضيف ما يحرك ، وما يدعو الى الجد والتجديد . وقد تكون لنا رجعة الى مناقشته بعض نظريات وردت في كتابه ، لم نستطع هذه المرة ان ندخل في بحثها او نتوسع فيه .

رئيف خوري

الروائع المائة

نقلها الدكتور عبد الرحمن بدوي – تنشرها مكتبة النهضة المصرية

آن لنا ان نعترف بهذه الجهود الشخصية التي يبذلها الاستاذ البدوي في حقل الفلسفة والادب . أمس اعطانا كتباً قوية صريحة في « خلاصة الفكر الاوروبي » واليوم يضيف على طريقته الاولى طريقة ثانية – للتعرف الى الحضارة الغربية – طريقة نقل الآثار الغربية الى العربية بشكلها ومادتها دون الاعتماد على عرض المذاهب ، وحدها . (لان العرض مهما يبلغ من الدقة في التحليل ، والعمق في اكتناه الافكار ، والسعة في افق المقارنة ، لا يمكن مطلقاً ان يغني عن الاطلاع المباشر على الاصول الاولى التي يقوم هو عليها ، ان الاتصال المباشر الحي هو الكفيل دائماً بالتأثير الملهم ، والخصب المهتز الدافع الى الخلق والابداع) .

هذه هي غاية هذه السلسلة ، لا عرض بل اتصال مباشر بالآثار مع امانة راجحة في النقل . ويظهر للمتأمل ان هذه الطريقة هي التي اعتمدها العرب في نقلهم للآثار اليونانية . وهي طريقة ناجعة منصفة . ونحن نرى في العصر الحديث حملة لنقل الآثار الغربية وترجمتها لكن هذه الحملة بقيت محدودة الفائدة لانهـا لم تستهدف نقل الآثار الرائعة لروعتها ، وانما كان يغلب عليهـا نزعات خاصة تحولها عن النافع والرائع ! وبتلك بقي ادبنا الحاضر خالياً من اكثر الآثار العالية .

والآن يقوم الاستـاذ البدوي بمشروع نقل مئة من روائع الادب الغربي – على اختلاف نوازعه – مبتدئاً بقصة (من حياة حائر بائر ، لايشندورف) و (الديوان الشرقي لغوتي) . . . وهما من الادب الالماني . ومن الحق ان نقل هذه الروائع سيكون له خطره في توجيه ادبنا الحاضر ونقله من هذه المخاضات التي يخوض فيها الى شوامخ عالية . . . وبذلك يدري الادب العربي أي ادب يجب ان ينتج . ويدري قيمة هذه اليد التي يمدهـا اليه خالصة استاذنا البدوي .

حلب   خليل هنداوي

ما وراء الطبيعة

للاستاذ حافظ الجمالي – ٢٣٦ صفحة – منشورات اليقظة بدمشق

هو عدد ممتاز في سلسلة ما اخرجت دار اليقظة ، وهو يعالج موضوعاً لم تزل المكتبة العربية الحديثة غير غنية بكتبه ، والجميل فيه انه يعالج مسائله متصلاً مع عصور الفكرة .

والمؤلف موفق كثيراً في العرض والتلخيص والتقسيم وفي الانتقال بين جنبات البحث ، والكتاب يدور في مواده على بحث في الفلسفة العامة وآخر عن قيمة المعرفة وفكرة الحقيقة وثالث عن الزمان والمكان ورابع عن المـادة والحياة وخامس عن الروح وسادس عن الله ، عارضاً شتى المذاهب الفلسفية في وضوح كبير .

وبين يدي الكتاب مقدمة للدكتور صليبا ألم فيها بنشأة اسم ما بعد الطبيعة وانه تولد اتفاقاً ، ثم اتى على تعريفه في قلم الفارابي ومرتبته في قلم ابن رشد ، الذي فصل نوعـاً من التفصيل مرتبته بالحيثية . فهو من حيث طبيعته أي من حيث هو هو في ذاته متقدم في الوجود ، ومن حيث التعليم متأخر فلا يجوز ان يقرأ بعد العلوم الجزئية ، لان نسبة العلوم اليه كنسبة الواسطة الى الغاية .

واذ بلغ صاحب المقدمة هذا الحد انتقل يبين العلوم التي ينبغي ان يبدأ بها كواسطة اليه ، فعد الهندسة عند بعض واصلاح الاخلاق او علم الطبائع او علم المنطق عند آخرين ، وهو الى هنـا مستقيم ، بيد انه ينتقل فيعد علم التفسير والفقه ويستشهد بابن خلدون وهذا وهم بالغ ، فان الملحوظ في العلوم التي ينبغي الابتداء انها كواسطة اليه فبينها نسبة مشتركة . وليس من ريب في ان ابن خلدون او غيره ليس يقول بهذا في جنب التفسير والفقه . وانما قال بها هو ومن يذهب مذهب المتشرعين حـذراً من تبلبل المعتقد فهي عند هؤلاء من العلوم التي ينبغي الابتداء بها ليس لانها كواسطة اليه بل لانها كواسطة لغيره أي العقيدة وسلامتها .

ثم ينتقل صاحب المقدمة الى بيان ان علم ما بعد الطبيعة ممكن الوجود ، ويستدل على دعوى الامكان بوجوده بالفعل ، وهنا مأخذ آخر من وجوه :

ا) ان الاستدلال على امكان الوجود بالوجود مصادرة لما فيه من اخذ جزء الدعوى في الدليل وهو خلف .

ب) ان الوجود بالفعل يحتمل افادة الامكان وافـادة الوجوب ، فاتخاذه دليلاً على الامكان استدلال بالاعم احتمالاً على الاخص ادعاء .

ج) ان الوجود الواقع في الدعوى ملاحظ فيه رائحة القبول العقلي ، بينما الوجود الواقع في الدليل يتضمن رائحة الافتراض قطعاً ، وبهذا يتصحح الخلاف . فانها أي الفلسفة الميتافيزيقية لو كانت وجوداً عقلياً لما اختلف عليها . فما من مستحيل الوجود الا وهو ممكن الوجود او موجود بالتصور التجريدي ، وان خصوم الفلسفة انفسهم لا ينكرون الامكان بهذا المعنى بل بمعنى القبول العقلي او الضرورة

العقلية ، والوجود الافتراضي تجريدياً لا ينهض دليلاً على امكان الوجود عقلياً ، فليس بين الدعوى والدليل في كلام صاحب المقدمة وحدة تصحح الاستدلال .

وبعد فالكتاب جيد في موضوعه غني بمعلوماته ، لولا هنات في بعض الالفاظ الاصطلاحية تارة ولا سيما فيما يتعلق بالجانب القديم منها ، مثل استعمال كلمة سبب في محلة علة وبينهما فرق جسيم يحول دون فهم حقيقة النظرية في الفلسفة ، وتارة في التركيب اللغوي والاساوبي . ومهما يكن من شيء فهو اثر ثمين كبير القيمة في البعث الفكري والتثقيف العام .

عبدالله العلايلي

العذارى

للاستاذ توفيق يوسف عواد – ١١٦ صفحة – منشورات الجديد ، بيروت

يشعر القارىء لاول نظرة ، يلقيها على الكتاب الرابع من انتاج الاستاذ عواد الخالص ، بفرق عظيم بينه وبين الكتب التي سبقته : لاختلاف الاتجاه في كلا النوعين .

ولكي يدرك القارىء ما عنيت ، اذكره بيئة ادب المؤلف في كتبه الاولى ، فالذين رافقوه ، من « الصبي الاعرج » الى « قميص الصوف » « فالرغيف » ، يدركون تماماً ان القصة كانت وجهته ، بينما الامر على خلاف ذلك في مؤلفه الجديد .

واذا كانت محاولته الكبرى في « الرغيف » لم يكتب لها النجاح المأمول ، فلا يكفي ذلك لانصرافه عن القصد ، لا سيما وان موهبته الادبية تنحصر فيها .

اما كتاب « العذارى » هذا ، فقوامه ثلاثة اقسام :

١ – قسم فيه اربع اقاصيص ، ذات لون محلي ، تذكرنا ببعض اقاصيص الصبي الاعرج ، وقميص الصوف ، وقد لا تسمو اجمالا الى منزلتها . وهي من انواع شتى .... بعضها ذو مسحة رمزية (؟) كقطعة العذارى (ولا اقول قصة) ومنها ما هو ذو طابع نفسي ، كقصة (قبر ام) وبعضها ذو صفة اجتماعية (كالكمبيالة الاولى) الخ .

٢ – قسم فيه ست صور – كما يسميها المؤلف ، ولولا ان كاتبها اديب فطرة ، صحافي مهنة ، لما جاز لنا اعتبارها الا في مرتبة المقالات العادية في الجرائد السيارة .

ولا يبدو الجهد على المؤلف في جمع هذه الصور ، لوحدة الطابع المهيمن عليها ، فمن مقالة عن مي ، الى صورة (امام الموت) الى قطعة (يا ولدي) (واكاد لا اخطىء اذا قلت ان العاطفة التي يصورها لنا الكاتب في القسم الاول منهـا ، تمثل لنا عاطفة أم ، اكثر منها عاطفة اب) الى الخطاب التأبيني (ساكت ثلاث مرات) الى قطعة « نخب الموتى » في كل ذلك ، تنتظم السخرية اللاذعة النقائض التي يعرضهـا المؤلف للقارىء ، وتلمس ذلك لمس اليد في قطعتي (امام الموت – نخب الموتى) .

٣ – قسم يسميه المؤلف حكايات صغيرة ، يـدل على نفسه بافصح لسان ، وافصح بيان ! فلا حاجة بي الى التعليق عليه !

وخلاصة القول ، فكل محب للاستـاذ عواد يتمنى عليه ان يعنى بعض العنـاية بلغته ، لان الادب لا معنى له اذا انحطت لغته وسقم بيانه .

احمد مكي

الحاج جبجب

مجموعة قصص للاستاذ رشاد المغربي دارغوث – ١٠٠ صفحة منشورات الجديد ، بيروت

يعرف قراء الاديب في الاستاذ رشاد المغربي دارغوث قصصياً له اسلوبه الخاص وموضوعاته المستقلة التي لا يشاركه بها غيره ، ومجموعته القصصية (الحاج جبجب) التي يقدمها اليوم بعد انقدم منذ سنوات روايته الاولى « خطيئة الشيخ » دليل جديد على تفرده في هذا النوع المحلي من القصص الذي يتحدث عن بيئة خاصة في زمن يكاد يكون واحداً ، هذه البيئة هي اوساط الطبقة الفقيرة (والمتوسطة احياناً) ، والزمن هو الحرب الكونية وحواليها، عند ما كان الجوع والفقر في كل مكان . ومن الطبيعي ان تتسم قصصه بطابع الصدق في نواح كثيرة، فهي ليست مقتبسة من مصادر اجنبية ولا مستوحاة من آداب اخرى فالحاج جبجب وام سعد والمربية دنيا وابو حسن والحاجة نفيسة ، وخدوج ، والشيخ اسد الله شخصيات من صميم حياة طبقات خاصة وجدت في زمن قريب في بلدنا هذا ولا تزال آثارها تتردد على السنة الذين ادركوها ، وفي ذكريات بعض الكهول ... وهي صادقة في ابتعادها عن التكلف في الصوغ الفني للقصة ، يوردها ايرادا سهلا مسترسلا كأنه حديث من جدتنا العجوز التي تروي مثل هذه الحكايات .. وصادقة في محاولته تصوير اشخاصه تصويراً شاملاً حتى لا يدع وصفاً تافهاً يفوته كتشبيهه « بالسعدان » في مكان ما من صفحة ٦٣ .. !

وكل هذه القصص تهدف الى تصوير مشاكل اجتماعية تخبط فيها قسم من مجتمعنا مدة من الزمن ولا تزال له بقـايا في بعض

الزوايا .. فسذاجة العوام وتدينهم السطحي وسهولة الطلاق واثر « الحكواتي » في حياة الجهلة في قصة « الحاج بجبج »، وصراع الام مع ابنتها ، بين المرأة وزوجها ، او بين القديم الذي يدافع عنه فريق في الاسرة وبين الجديد الذي يمثله فريق آخر في قصة « اسبوع ام سعد » ، وصور الحمام العام والطعام البلدي، وصور الموت والجوع في الحرب الكبرى في قصة مجردة بلدنا ، والدجل باسم الدين في قصتي بنت الحجة ويوم استقبالها ، كل هذه ، وغيرها كثير ، معضلات اجتماعية تعرضها قصص الاستاذ المغربي دون ان تشوه من قوة القصة ولا من جمالها الفني ، كما تتشوه قصص الكثيرين عندما تنقلب الى وعظ علني وارشاد مبتذل ... بل انك تشعر بلذة ممتعة وانت منغمس في هذا الجو الذي يعيدك اليه بعد ان اصبح من ذكرياتك، ان كنت ممعناً في السن، او الذي يكشفه لك ويعرفك اليه ان لم يتح لك ان تدركه ...

وليست هذه الصور الاجتماعية التي تحتويها قصص « الحاج بجبج » صوراً مرتجلة اوحتها الصدفة ، بل يقصدها المؤلف قصداً ويحرص على ان يقوم ادبه بواجبه نحو قرائه ، فكأنه يصف نفسه عند ما يقول في مقدمة الكتاب : « اننا في وسط تشعر بالحاجة فيه الى ادب يتسم بالطابع الشخصي، ويؤدي الرسالة المفروضة على اربابه من توجيه خلقي واجتماعي وقومي » . ولا شك ان الطابع الشخصي ، كما بينا سابقاً ، واضح كل الوضوح في قصصه ، كان القارىء يحس بهذه الاخطاء الاجتماعية التي تتغلغل في بعض الاوساط والتي تعرضها قصص الحاج بجبج عرضاً جذاباً .

ولكن هذه الافكار الاجتماعية ليست عامة في كل المجتمع ، ولا في فريق كبير منه بل هي احداث فردية ، شاذة يغلب عليها الندرة والغرابة ، وان بعضها قد دخل في التاريخ ... فان ما نرى من اثر الاساطير في « الحاج بجبج » الذي يدفعه الى انبطالق زوجه وأثر خرافات « ام سعد » في اضطراب حياة الاسرة ، واثر بعض التقاليد البالية على بعض الناس في (بنت الحجة ويوم استقبالها) ليس نقائص اجتماعية وخلقية موجودة ، ولكنها مضت واندثرت ، ثم هي في تلك الحقبة التي وجدت فيها كانت غريبة شاذة ، مما يضفي على القصة شيئاً من العامية ، ويبعد بها عن الجو الفني الخالص للقصة الرائعة .

ولا بد لكل قارىء من ان يعجب بهذا التصوير الحسي الخارجي الذي يتقنه المؤلف اتقاناً بارعاً، دون ان يتغلغل الى التحليل النفسي العميق ، فصور الاعمال التي تصدر عن ابطاله ، وطريقة كلامهم ، ووصف البيئة التي يعيشون فيها وصفاً خارجياً ، تكاد تكون صوراً متحركة فيها القوة وفيها الحياة ، وتعينه على اداتها لغة مرنة واسلوب مبين ، ما عدا مواضع قليلة جداً يتساءل عندها القارىء ، فان المؤلف يقول مثلاً في ص ٧ : وانفلت الادب من عبوديته لمطامع ذاك واطماع هؤلاء . » والظاهر هنا ان مطامع غير اطماع وان لكل منها معنى، والواقع ان «مطامع» جمع مطمع، اي المصدر الميمي من طمع، وان اطماع جمع «طمع» وهو المصدر العادي من طمع ايضاً ، فكلاهما من فعل واحد ، ولا يختلفان في المعنى الاسمي . ولهذه القصص مقدمة جديرة بأن توضع موضع البحث والمناقشة لانها تتعرض لموقفنا من الادب واتجاهاته الجديدة . ولكن ليس هنا مجال القول في ذلك .

« بهي »

سمر

مجموعة شعر للاستاذ غنطوس الرامي – المقدمة بقلم السيدة اميلي فارس ابراهيم – منشورات المكشوف ، بيروت

بين البواكير التي طلعت مع الربيع المنصرم باكورة الشاعر غنطوس الرامي . ولعلها وحدها تقف في الجو الغنائي لما في نسجها من نداوة وطراوة وتعبير واضح عن الحادثة والعاطفة .

صاحب سمر بعد في مطل العمر تتنازعه ذكريات قريبة بعيدة ينوء بها فيدفعها الى القرطاس قطعاً صغيرة حلوة فيها الخيال الهادىء والنغم الناعم والحس الصادق ، فهو من هذه الناحية يمثل هذه الحقبة من حياته احسن تمثيل . في قصيدته « غفوة » نداء العاشق المطمئن الخائف يحاول ان يضم المرأة التي يهوى في حذر ورغبة وقلق وهدوء ، وفي قصيدته « دمعة » حنين ضارع هادر تلمع على حروف الدموع . وفي عشتروت اسطورة حائرة بين عشتروت العاشقة الاولى صاحبة ادونيس وبين عشتروت المرأة طرفة غنطوس الرامي . في هذه القصيدة يبرز لون غنطوس الرامي اكثر منه في اي قصيدة سواها فهذا التسلسل المحكم بين الخطرة والخطرة على صعيد الحس يترك القارىء في حالة مصطفاة من الدعة والانسراح الشامل .

وبعد فان غنطوس الرامي شاعر غنائي في استطاعته ان يساعد على تقدم هذا الفن لبساطته المحببة ، وحسه الساذج وحرصه على الصدق وهو الى جانب ذلك من شعراء الطريف الجديد اما مقدمة الديوان فدرس انيق عميق فيه قصة الديوان وقصة صاحبه من الفها الى يائها .

صلاح الاسير

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

موسكو ٢٧ حزيران ١٩٤٤ – سقطت قاعدتا فيتبسك وزلوبين بايدي القوات الحمراء التي يقودها الجنرال باغراميان .

موسكو ٢٨ – احتلت الجيوش الروسية مدينة اورشا المعقل الالماني الثالث في روسيا البيضاء .

روما – استولت القوات البريطانية في ايطاليا على مدينة شيتوزي

نيودلهي – احتلت القوات الصينية والبريطانية القاعدة اليابانية موهونغ في القسم الشمالي من بورما بعد معركة دامت ثلاثة ايام .

لندن ٢٩ – استولت القوات الروسية على مركز اقليمي كبير في روسيا البيضاء هو مدينة موغيليف .

روما – احتلت قوات الجيش الخامس في ايطاليا مدينة كاستانيانو .

واشنطن ٣٠ – قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الديبلوماسية مع فنلندا احتجاجاً على الاتفاق الذي عقدته فنلندا مع المانيا في ٢٧ حزيران المنصرم .

لندن – احتلت القوات الروسية مدينة بوبرويسك .

موسكو ٣ تموز – انتزعت قوات الجبهة الثالثة في روسيا البيضاء مدينة منسك عاصمة الجمهورية من الالمان . وقد سقطت المدينة بعد قتال دام في ضواحيها وشوارعها .

انقره ٤ – قدمت روسيا احتجاجاً الى تركيا عن تحليق الطائرات الالمانية فوق الاراضي التركية في طريقها الى البحر الاسود لضرب السفن الروسية . وقد اجابت الحكومة التركية بأنها اتخذت التدابير الشديدة لتحول دون تكرار هذه الحوادث .

غينيا الجديدة – نزلت قوات اميركية الى جزيرة نوئيفور في عرض غينيا الجديدة والواقعة على بعد ١٠٠ ميل غربي جزيرة بياك التي غزاها الحلفاء مؤخراً .

لندن ٥ – دخلت قوات الجيش الاميركي الاول مدينة « لاهاي دي بوي » في شبه جزيرة شربورغ في فرنسا .

موسكو – احتلت قوات الجيش الاحمر بعد هجوم عنيف مدينة مولودشنو في طريق فيلنا .

لندن – اخلت القوات الالمانية مدينة كوفيل وتتوها على مسافة ١٢٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من برست – ليتوفسك .

لندن ٧ – عادت القوات الاميركية فانسحبت من بلدة « لاهاي دي بوي » عقب مقاومة عنيفة لقيتها من الالمان .

لندن – نشبت اول معركة جوية كبرى في سماء اوربا منذ بدء الغزو اذ انطلقت ١٠٠٠ قاذفة اميركية تواكبها مئات المقاتلات باتجاه ليبزيغ وخاضت غمار معركة عنيفة مع الطائرات الالمانية .

بيروت – وقعت البروتوكولات المتعلقة بتسليم دوائر الامن العام بين مندوبية فرنسا وبين الحكومتين السورية واللبنانية .

موسكو ٨ – دخل الجيش الاحمر مدينة فيلنا .

لندن ٩ – اعلن الالمان انهم عادوا فاخلوا بلدة « لاهاي دي بوي » .

لندن ١٠ – احتلت القوات البريطانية والكندية التابعة للجيش الثاني مدينة « كان » بعد معركة طاحنة استمرت اربعين ساعة .

لندن – احتل الاميركيون مدينة فولتيرا الواقعة على بضعة كيلومترات الى الجنوب الشرقي من ليفورنو في ايطاليا .

موسكو – سقطت « ليدا » القاعدة الهامة في ايدي الروس . وهي تقع بين منسك وحدود بولونيا القديمة . والى شمال ليدا دخلت الجيوش الحمراء مدينة فيلنا .

واشنطن – زار الجنرال ديغول الرئيس روزفلت في القصر الابيض ، وقد دارت مباحثات بين الرجلين .

موسكو ١١ – حرر الجيش الاحمر مدينة سلونيم القائمة على مسافة ٧٥ ميلا داخل حدود بولونيا ، ومدينة « تلك » الواقعة جنوب شرقي سلونيم .

واشنطن ١٢ – اعترفت الحكومة الاميركية بلجنة الجزائر الفرنسية كحكومة فعلية .

واشنطن ١٤ – توفي في الميدان الفرنسي البريغادير جنرال روزفلت من جراء سكتة قلبية .

القاهرة – تدهورت سيارة المطربة اسمهان بينما كانت متجهة من القاهرة الى راس البر وانتشلت جثة هامدة .

لندن – دخلت قوات روسيا الحمراء مدينة فيلنا .

لندن – اعلن الالمان ان قواتهم تخلت عن قاعدة جديدة هي مدينة « بنسك » .

لندن ١٥ – احتلت القوات الفرنسية في ايطاليا مدينة « بوجي بونسي » وهي ملتقى هام للطرقات على مسافة اكثر من عشرين ميلا بقليل جنوبي مدينة فلورنسا .

لندن ١٧ – استولى الجيشان الروسيان الزاحفان من الشمال والشمال الشرقي على « غرودنو » المعقل الالماني الكبير الذي يقع على مسافة ٤٥ ميلا من حدود بروسيا الشرقية .

لندن ١٨ – دخلت القوات الاميركية الى « سان لو » في فرنسا .

لندن ١٩ – استولت القوات البولونية التابعة للجيش الثامن على مدينة « انكونا » وميناها . وقد احتلت في زحفها « انغور يانو وسميرانو » .

لندن – سقطت ليكهورن في ايدي الجيش الخامس الاميركي وهي من اكبر الموانيء في ايطاليا وفيها ٦٠ حوضاً وتتسع لايواء اكبر السفن الحربية .

لندن ٢٠ – اعلنت وكالة الانباء الالمانية انه جرت محاولة لاغتيال هتلر بواسطة الديناميت فاصيب هتلر وبعض اركان حربه بجراح .

واشنطون – استقالت وزارة الجنرال هيداكي توجو اليابانية .

بيرل هاربور ٢٢ – تواصل القوات الاميركية تقدمها في داخل جزيرة غوام وقد اعلن مقر قيادة اسطول الباسفيك العام خبر غزو جزيرة غوام . وكان بدء الغزو في ٢٠ تموز .

لندن – اعلن الراديو الالماني ان النازي اتخذوا تدابير شديدة لقمع كل ثورة محتملة ، واعتقلوا واعدموا بعض ضباط البر والبحر .

لندن – استولى الكنديون على سان مرتان دي فونتناي التي تبعد خمسة اميال عن « كان » الى الجنوب .

موسكو – احتلت قوات الجبهة البلطيقية الثالثة من الجيش الاحمر مدينة اوستروف بعد مناورة التفافية ماهرة مشتركة مع هجوم جبهي وتبعد اوستروف اقل من ٢٠ كيلو متراً عن ودليتونيا و ٤٠ عن حدود استونيا .

لندن ٢٤ – يقال بأن المرشالين فون رونشتد وفون براوختش كانا في جملة الضباط الذين اعدموا في المانيا .

لندن – احتل الجيش الاحمر مدينة بسكوف وهي آخر مدينة روسية كبيرة كانت في يد الالمان .

دمشق – اعترفت روسيا باستقلال سوريا وسيقام علاقات ودية وسياسية بين الجمهوريتين وسيشرع بتبادل التمثيل السياسي بينهما .

لندن ٢٥ – تقدمت القوات الروسية فاستولت على مدينة لوبلين الواقعة على مسافة مئة ميل جنوب شرقي فرسوفيا .

واشنطون – اعلن المستر روزفلت في المؤتمر الديمقراطي قبوله لترشيح نفسه لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة للمرة الرابعة .

الفاتيكان ٢٦ – استقبل قداسة البابا المونسنيور سبيلمان رئيس اساقفة نيويورك ودامت المقابلة اربع ساعات .

لندن – اطلقت قذائف مجنحة اخرى على انكلترا الجنوبية ومنطقة لندن ابان الليل . فأسقطت المدافع المضادة للطائرات والمقاتلات عدداً كبيراً من هذه القذائف في البحر وفي الاماكن الخالية .

لندن – نعت انباء جوهانسبورغ في الترنسفال شاه ايران السابق رضا خان بهلوي . وقد مات اثر داء عضال ، وهو والد شاه ايران الحالي .

بيرل هاربور – اتصلت القوات الاميركية القادمة من شمالي جزيرة غوام وجنوبها بعضها ببعض .

لندن – بدأ الهجوم الحليف على مدينة فلورنسا في ايطاليا .

موسكو – احتل الجيش الروسي في اتجاه لفوف مدن ايانوف وغورودوك وسكولفيكي وروتكي . واستسلم للقوات الروسية قائد فوج الجيوش الالمانية ال ١٣ القائد غوف المجروح بخطورة مع جميع هيئة اركان حربه .

لندن ٢٧ – عبرت قوات الجيش الاحمر حدود جمهورية استونيا واستولت على مدينة نارفا التي تبعد سبعة اميال داخل الحدود .

لندن – زار جلالة ملك انكلترا جبهات القتال في ايطاليا .

موسكو ٢٨ – اصدر الرفيق ستالين ستة اوامر يومية يعلن في كل منها سقوط مدينة جديدة وقرى كثيرة . ومن أهم هذه المدن التي احتلها الروس « رفنسك » ولفوف وبسكوف وبيالستوك .

بيروت – زار الرفيق نوفيكوف سفير الاتحاد السوفياتي في مصر الحكومة اللبنانية وقدم لها اعتراف الاتحاد السوفياتي باستقلال لبنان استقلالا تاماً . وسيباشر قريباً بتبادل التمثيل السياسي بين الدولتين .

تتمة اخبار علمية

هذا الشاب النابغة هو طام صفدي صاحب معمل ساف واي في مدينة مشيغن . الذي اخرج في غضون السنوات الخمس الاخيرة ٧٠ اختراعاً منها –

– صامة بلاستيك لقناني البيره .

– مثلجة كهربائية تدار بانابيب الراديو بدلا من المواد الكيماوية .

– سكين لقطع الزبدة تتحرك ببطارية المصباح الكشاف .

– راس لمحركات الغازولين يزيد قوتها زيادة خارقة .

– آلة دقيقة مركبة لفحص نعومة سطوح المواد المعدنية وهي جوهرية في معمل هذه المواد تخفض تكاليفها الى العشر .

– موسي للحلاقة لا يسن الا مرة واحدة في كل خمس سنوات .

هذه امثلة من مخترعات هذا النابغة الذي ولد في ديترويت من مهاجر سوزي واشتغل بعد تخرجه من المدرسة العالية في مصنع الات ثم اخذ ينتقل من مصنع الى مصنع لطموحه الى معالجة المشاكل الصناعية .

وقد اختصر عمله في احدى الشركات حتى صار يعمل في اربع ساعات ضعف ما يعمله غيره ثماني ساعات وصار يكسب في الشهر ٦٠٠ دولار

ثم انشأ لذاته معملا للالات فرت عليه عدة اشهر لم يدخل اليه في خلالها غير ١٨ دولارا فقط فاضطر ان ينتقل بعروسته من منزلها المريح الى ان تدور الليالي دورتها ويساعده الحظ . وقد اقبلت عليه الدنيا فاستثمر ذكاءه استثماراً كبيراً وهو الان صاحب معمل دخله مليون و٥٠٠ الف دولار في السنة وفي امكانه ان يزيده الى ستة ملايين ولكنه يريد ان يستبقي لذاته وقتاً ليخترع .

ومما يروى عنه انه كان كلما اختلف مع شركة على نوع من الالات عمد الى صنع تلك الالات بنفسه فاستغنى عنها .

وهو الان في السابعة والعشرين من عمره .